تاريخ نجد الحديث

الفهرس - أهم الوقعات وتواريخها -

البيعات الأربع - لائحة الرجال -

مجموع المجاهدين من الرجال -

١ - ١٤

(٢)

الفهرس

~~ع البعاث الاربع~~

٦ لفرقة الكتاب –

~~المقدمة~~

~~الاهداء~~

~~البعثات الاربع~~

~~المقدمة~~ ~~اهم الوقعات في سيرة الملك عبد العزيز~~

في المراجع والوسانيد ١

النبذة الاولى . نواحي نجد ١٢

النبذة الثانية . محمد بن عبد الوهاب والوهابية ٢٢

النبذة الثالثة . آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء ٤٣

. محمد ابن الرشيد على نجد ٤٦

امراء آل سعود ٤٧

الدور الاول . الفتوحات ٤٩

الدور الثاني . الفوضى ٦٤

الدور الثالث . الحروب الاهلية . ٧٩

سيرة عبد العزيز

نسب آل سعود ٩٢

تمهيد ٩٥

الفصل الاول . وقعة الصريف ١٠٢

الفصل الثاني . احتلال الرياض ١٠٧

الفصل الثالث . الحرب في الخرج ١١٤

الفصل الرابع . الاستيلاء على القصيم ١١٩

الفصل الخامس . البكيرية ١٢٥
الفصل السادس . الأتراك يفاوضون ويتفرجون ١٢٧
الفصل السابع . كبوات الشيخ مبارك ١٢٥
الفصل الثامن . ذبحة ابن الرشيد ١٢٨
الفصل التاسع . الأتراك يرحلون ١٤٢
الفصل العاشر . ليلة الظافر ١٤٨
الفصل الحادي عشر . تعددت الاعداء ١٥١
الفصل الثاني عشر . كسرة ابي الخيل ١٥٦
الفصل الثالث عشر . الاقارب والعقارب ١٦٠
الفصل الرابع عشر . الشيخ مبارك يستغيث ١٦٥
الفصل الخامس عشر . الشريف حسين يشمّر الاردان . ١٧١
الفصل السادس عشر . العرائف ١٧٤
الفصل السابع عشر . لا نصر ولا انكسار . ١٧٧
الفصل الثامن عشر . الترك والوحدة العربية ١٨١
الفصل التاسع عشر . فتح الاحساء ١٨٤
الفصل العشرون . المفاوضون يتابعون والشيخ مبارك يتعثر ١٩٠
الفصل الحادي والعشرون . هاوية العهود ومفرقة الوفود ١٩٥
الفصل الثاني والعشرون . يوم جراب ١٩٨
~~الفصل الثالث والعشرون . الانكليز وآل سعود~~

الفصل السابع والعشرون . العجمان الانكليز والعرب — ٢٠١
الفصل الثامن والعشرون . ~~[illegible]~~ — ٢٠٦
الفصل التاسع والعشرون . هدايا وتعنيف من ابن سعود للشريف — ٢١٠
الفصل السابع والعشرون . وفود الانكليز والعرب — ٢١٢
الفصل الثامن والعشرون . وقعة تربه ومقدماتها — ٢١٩
الفصل التاسع والعشرون . البدو والمهاجر — ٢٢٢
٢٨ الفصل الثلاثون . ملح صغير — ٢٤٠
٣٠ الفصل الحادي والثلاثون . الاخوان في الكويت — ٢٤٢
١ الفصل الثاني والثلاثون . فتح حائل — ٢٤٩
٢ الفصل الثالث والثلاثون . مأساة بيت الرشيد — ٢٥٦
٢ الفصل الرابع والثلاثون . آخرة آل عائض — ٢٦٣
٤ الفصل الخامس والثلاثون . الاخوان في العراق — ٢٦٨
٥ الفصل السادس والثلاثون . مؤتمر العقير — ٢٧٨
٦ الفصل السابع والثلاثون . الذكاس — والذي يوسوس في صدور الناس — ٢٨٥
٧ الفصل الثامن والثلاثون . ذروة المجد والخطر — ٢٩٢
٨ الفصل التاسع والثلاثون . الاخوان على ابواب عمان — ٢٩٦
٩ الفصل الاربعون . سقوط الطائف — ٢٩٩
الفصل الحادي والاربعون . يوم الانقلاب — ٣٠٤
الفصل الثاني والاربعون . الشريف حسين
١ الفصل الثالث والاربعون . الآباء يأكلون الحصرم ... — ٣١٠
٢ الفصل الرابع والاربعون . رسل السلام — ٣١٧
٢ الفصل الخامس والاربعون . الى مكة . — ٣٢٢
٤ — ٣٢٦

ج ٢٦٦ اول امراء حائل آل الرشيد

٢٢٤ الفصل الخامس لآل سعود — اشاعات وحقائق
٢٢٨ الفصل السادس لآل سعود — الكتاب والسنة والسيف
٢٤٦ الفصل السابع لآل سعود — المفاوضات
٢٥٢ الفصل الثامن لآل سعود — الطيارات
٢٦٠ الفصل التاسع لآل سعود — علينا وعلى رسل الرحمة
٢٦٤ الخمسون — المشاجرات والمطالبات
٢٨٢ الواحد والخمسون — الملك علي يرحل
٢٨٨ الثاني والخمسون — عبد العزيز ملك الحجاز
٢٩٢ اهم الوقعات وتقلبات الحجاز
٢٩٤ ... الملحق — وفيه نصوص المعاهدات والكلمة الاخيرة

٢٢٤		الفصل السادس والاربعون (الخامس)	.	اشاعات وحقائق
٢٢٨	٦	الفصل السابع والاربعون	.	الكتاب والسنة — والسيف !
٢٤٦	٧	الفصل الثامن والاربعون	.	المفاوضات
٢٥٢	٨	الفصل التاسع والاربعون (الثامن)	.	الطيارات
٢٦٠	٤٩	الفصل الخمسون	.	لنا وللرسل الرحمة .
٢٦٤		الفصل الحادي والخمسون	.	المناجزات والمكالمات
٢٨٢	١	الفصل الثاني والخمسون	.	الملك علي يرحل
٢٨٨	٢	الفصل الثالث والخمسون	.	عبد العزيز ملك الحجاز !
٢٩٢		جدول اهم الوقعات في هذا التاريخ		

—٥—

٢٩٤	الملحق	وفيه فتوى العلماء و(نصوص) المعاهدات ولائحة الحج
٣١٧	فهرس الاعلام	

اهم الوقعات وتواريخها

وقعة الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ (١٦ فبراير ١٩٠١)

احتلال الرياض في ٥ شوال ١٣١٩ (١٥ يناير ١٩٠٢)

فتح عنيزة في ٥ محرم ١٣٢٢ (٢٢ مارس ١٩٠٤)

وقعة البكيرية في ١ ربيع الاول ١٣٢٢ (١٦ مايو ١٩٠٤)

وقعة الشنانة في ١٨ رجب ١٣٢٢ (٩ سبتمبر ١٩٠٤)

وقعة روضة مهنا (قتل ابن الرشيد) في ١٨ صفر ١٣٢٤ (١٤ ابريل ١٩٠٦)

وقعة الطرفية في ٥ شعبان ١٣٢٥ (١٤ سبتمبر ١٩٠٧)

احتلال بريدة وكسرة ابا الخيل في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦ (٢٢ مايو ١٩٠٨)

وقعة هدية في ١ جمادى الثانية ١٣٢٨ (١٠ يونيو ١٩١٠)

فتح الاحساء في ٥ جمادى الاولى ١٣٣١ (١٢ ابريل ١٩١٣)

وقعة جراب في ٧ ربيع الاول ١٣٣٣ (٢٤ يناير ١٩١٥)

وقعة تربة في ٢٥ شعبان ١٣٣٧ (٢٥ مايو ١٩١٩)

وقعة الجهرى في ٢٦ محرم ١٣٣٩ (١١ اكتوبر ١٩٢٠)

سقوط حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١)

سقوط الطائف في ٧ صفر ١٣٤٣ (٧ ايلول ١٩٢٤)

احتلال مكة في ١٨ ربيع الاول ١٣٤٣ (١٨ اكتوبر ١٩٢٤)

وقعة المحصات في ١٨ شعبان ١٣٤٣ (١٤ مارس ١٩٢٥)

تسليم المدينة (بعد حصار دام عشرة اشهر) في ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٤ (٥ ديسمبر ١٩٢٥)

تسليم جدة (بعد حصار استمر سنة كاملة) في ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤ (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥)

- - - - . . . .

[illegible] في شوال ١٣٤٨ (يوليو ١٩٣٠)

ما استطاع الامويون ان يوفقوا حتى بين القيسية
واليمانية من انصارهم . ولا استطاع العباسيون ان يبسطوا
نفوذهم حتى على عشائر الاحساء . وما فكر صلاح
الدين ، على ما يظهر ، في تحسين حال البدو ونزع
العداوات المتأصلة بينهم . وهؤلاء العرب
ولت الالف والثلاثمئة سنة
لا يزالون كما كانوا . ما غير الزمان شيئا في حالهم
ولا عمل فيهم عامل من
عوامل التطور الاجتماعي ! ثم كتب لهم
الف وثلاثمئة سنة !
بعمر ثان ، بعث اليهم بعبد العزيز ابن سعود
ليجمع شملهم ، وليوحد صفوفهم ، وليعزز جانبهم ،
وليؤسس ملكا عربيا هو منهم ، وهو فيهم ، وهو لهم .
يا طول العمر ، ان ما قمتم به من تحضير
البدو

البدو، وتأسيسه الهجر، لمن امجد مآثركم القومية، ومن خير اعمالكم الاصلاحية. غير ان هناك عملاً آخر فيه كذلك الخير الجزيل، بل فيه للعرب الخير الاكبر.

كانت الهجرة الاولى، هجرة البدو، منه الشرك الى التوحيد في الدين، ومنه البادية الى الحضارة. فعسى ان تكون الهجرة الثانية من الأمية الى الالفباء، ومنه الجاهل الى العلم، من الظلمات العقلية الى النور.

بنيتم يا طويل العمر البيوت للبدو. هي الخطوة الاولى الى المدنية. فعسى ان تخطو الخطوة الثانية فتبنون لهم كذلك المدارس. ان في المدارس تخفيف ما تنشدون. المدارس تمهد السبيل الى الوحدة العربية الثانية، الوحدة الشاملة، الوحدة العزيزة الوثيقة العرى.

واني اسأل الله ان يطيل بايامكم لتتموا الاصلاح الذي بايت نموه وتحققوا الآمال العربية الكبرى اعنيها بهم.

الصديق المخلص للعرب و[illegible]

(٨)

البيعات الاربع

—

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود

خرج من الكويت غازيًا في شتاء سنة
~~١٩٠١ (١٣١٨هـ)~~
١٣١٨هـ (١٩٠١م)

وبويع في السنة التالية في الرياض على
ان يكون امام الوهابية وامير نجد

وفي صيف ١٣٣٩ هـ (١٩٢١م) عُقد مؤتمر
في الرياض حضره علماء نجد ورؤساء القبائل
ونودي بالامير عبدالعزيز سلطانًا على نجد وملحقاتها.

وفي ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ (١٠ يناير ١٩٢٦)
بويع في مكة ملكًا على الحجاز

وفي ٢٥ رجب ١٣٤٥ (١٩ يناير ١٩٢٧)
في اجتماع عقد في الرياض
نادى به اهل نجد
~~ملكًا على~~
ملكًا على نجد وملحقاتها.

—

ب

لائحة الهُجَر

كل عدد من الاعداد المذكورة ادناه، اي عدد من يلبون دعوة الجهاد من كل قرية، يضاف اليه ضعفاه. الضعف الاول وهم البدو اي الذين يرعون المواشي والضعف الاخر المحترفون اي الذين يبقون في البلدة ليقوموا بصناعتها وتجارتها وزراعتها. والمجموع عدد سكان المذكور في كل هجرة.

اهل الحسا والقطيف وحائل والجوف لا يُستنفرون.

بلاد نجد وضعاً هو من القصيم الى وادي حنيفه.

يلبي الجهاد من اهل نجد فقط اربعة آلاف وهؤلاء مسلّحون متأهبون دائماً وهم بمثابة العسكر النظامي يدفع لهم السلطان كل ثلاثة اشهر ~~فضة~~ قيمةً مرضية - غير معينة - من المال.
وكذلك المجاهدون من هجر حرب.

هُجَر - مطير

يلبي الجهاد منها	
٢٠٠٠	الارطاوية
١٠٠٠	مبايض
١٠٠٠	قرنيّاه فريشان
٧٠٠	مليح
٧٠٠	العمار
١٠٠٠	الإثله
٦٤٠٠	يكون

٦٨٠٠
١٢٠٠
٩٦٠٠
١٠
٧٨٦٠
٧٦٥٠

٦٤٠٠	
٦٠٠	الارطاوي
٨٠٠	مبيكه
٨٠٠	ضَرَيّه
~~٤٠٠~~	~~الشُعْب~~ ؟ [illegible]
١٥٠٠	قريَة العليا
١٠٠٠	قريَة السُفلى
~~٧٠٠~~	~~سُدَيْرَه~~ } هاتان الاثنتان [illegible]
~~١٠٠٠~~	~~نُكَيْز~~
١٣٢٠٠	١١١٠٠

لهجر حرب [حرب نجد]

٢٥٠٠	دُخْنَة
١٠٠٠	الشُبَيكيّة
١٠٠٠	الدُلَيميّة
٧٠٠	القرين
٦٠٠	الساوقية
٢٠٠	خَلِيفه
٧٠٠	حَنيظل
١٠٠٠	البرود
٢٠٠٠	قبه (لفظ أُجْبَة)
٩٨٠٠	

لهجر قحطان

عدد المجاهدين	
٨٠٠	السهايم
١٠٠٠	الهبايش - بادية
١٨٠٠	اليكون

ج (١١)

١٨٠٠	
٢٠٠	الجفير
٨٠٠	الحصاة
٢٠٠٠	الرين الأسفل
٢٠٠٠	الرين الأعلى
٦٩٠٠	

هجر الرؤقة (من عتيبه)

٢٠٠٠	اكبرهم الداهنا
٢٠٠	الصَوْح
٨٠٠	ساجر
٢٠٠٠	عرجا
٢٠٠	عُسَيْله
١٥٠٠	نِفي
٦٩٠٠	

هجر برقه (من عتيبه)

١٠٠٠	عُروه
١٠٠٠	السنام
٧٠٠	الروضه
٢٧٠٠	
٥٠٠٠	الغطغط من عتيبه

هجر شمر

٢٠٠٠	الجفر الأجفر

الأجفر

(١٢)

١٠٠٠ روض العيون ؟ جلالة الملك لا اعرفه .
١٥٠٠ بيوان قبيلة هتيم
٤٥٠٠

هجر كثر

هجر الدواسر

١٥٠٠	مشرفه
٨٠٠	الوسيطة
٢٢٠٠	

هجر العجمان

٢٠٠٠	الصرّار
١٠٠٠	حنيذ
٨٠٠	الصحّاف
٧٠٠	العقير
١٢٠٠	عريره
٥٨٠٠	

هجر العوازم

١٥٠٠	ثاج
١٠٠٠	الحسي
١٠٠٠	الحناة
٧٠٠	العيقه
٤٢٠٠	

~~العظيم~~ الفطيم	٦٠٠
القصير	٩٠٠
الحفير	٩٠٠
البلازيه	٥٠٠ / ٢٩
~~الحنه~~ الخبه	٨٠٠
~~الفيضه~~ الغيضه	١٢٠٠
بيضه نثيل (عنزي)	١٥٠٠
التيم	٦٠٠
ام القليات	٥٠٠
الشقيقه	٤٠٠
خريفط (هتيم)	١٢٠٠
المصاع	٧٠٠
المرير (هتيم)	٤٠٠
الفوارة (حرب)	١٠٠٠
	١١٢٠٠
	٤٥٠٠
	(١٤٨٠٠)

(١٣١)

تابع بنو مره

هجر بنو مرّة

١٠٠٠	التبال
٥٠٠	أبيرق
١٠٠٠	عين دار (بنو هاجر)
٢٥٠٠	

في الخرج

٨٠٠	الضبيعه
٨٠٠	البدع
٦٠٠	المنيصف
٥٠٠	الاخضر
٤٠٠	طبيشم
٤٠٠	الرويضه
٢٥٠٠	

سبيع قسمان . قسم في العارض وقسم في الخرمه . والسهول يحسبون من سبيع العارض .

مجموع المجاهدين من الهجر

٢٥٠٠	الخرج
٢٥٠٠	بنو مرة
٤٢٠٠	العوازم
٥٨٠٠	العجمان
٢٢٠٠	الدواسر
٤٥٠٠	شمّر
٥٠٠٠	القطقط
٢٧٠٠	برقه - عتيبه
٦٩٠٠	الروقه - عتيبه
٦٩٠٠	قحطان
٩٨٠٠	حرب نجد
١٢٢٠٠	مطير
٦٨،٢٠٠	اليكون

وهناك هجر غير هذه ربما كانت بمقدارها سأرسلها لكم في اول بريد
يصل بعد هذا لأني طلبتها من جلالة الملك وسيرسلها بعد

تاريخ نجد الحديث

في المراجع والأسانيد

٩-١

فصل والنبذة الاولى

١

في المراجع والاسانيد

—

كنا في الرياض نتسمر ورجال التاريخ من آل سعود، المعاصرين منهم والاقدمين.

وكان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبدالعزيز الذي ارسل الي كتابين طبعا في الهند لاثنين من ادباء نجد ومؤرخيه، الاول روضة الافكار لحسين بن غنام الحنبلي، والثاني عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن عبدالله بن بشر.

قرأت التاريخ فسرني احسن الحديث وعظمة السلطان في اجداده، وطالعت في "الروضة" شيئاً كثيراً في محمد بن عبدالوهاب وله، فسرني افقه معنى النهضة الروحية التي قام بها في وادي حنيفة كبيران من ربيعة هما هذا التميمي ابن وهاب وذاك المانعي الوائلي ابن سعود.

ولكني وانا اطالع الكتابين اسفت لاسلوب مؤلفيهما القديم، ذاك الاسلوب المتكلف المسجع الذي لا يحبب مطالعة التاريخ الى قراء هذا الزمان، ووددت لو ان احد المتنشئين العصريين يلخص ابن بشر، او يعيد كتابة تاريخ نجد منذ قرن ونصف قرن ليطلع العامة وبخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الامور الدينية والسياسية، التي كان لها التأثير الاكبر في العرب بعد البعثة النبوية.

وكنت قد تذوقت السمر السلطاني في العقير، فروى عظمته شيئاً من اخبار حروبه وابن الرشيد، وكان في الرواية فصيحاً، بليغاً جذاباً — ومنصفاً لخصمه. فقلت في نفسي، وقد فتح لي باب في الكتابة عجيب: حبذا القصة كلها لو دونها للناس — تحفة هي تاريخ كله جديد، واكثره لذيذ مفيد.

لم اجرؤ يوم كنا في العقير ان افصح للسلطان عن رغبتي هذه، ولكني قلت لرفيقي السيد هاشم الرفاعي اني احب ان اكتب سيرة السلطان عبدالعزيز، واني مباشر العمل. وفي الحقيقة كنت قد دونت في مذكراتي الوقعة التي سمعت خبرها في الليلة السابقة.

وعندما جئنا الرياض، وبدا من عظمة السلطان ذلك التعطف الخاص الجميل، فانثلج في الصدر

القصر وكان يشرف منزلي كل ليلة بعد صلوة المساء، تشجعت فاستأذنت بأن اكون مؤرخه، فاجاب، وكان الجواب مبهجًا: ماتخالف (لا بأس) فاستوثبت واقفا وشكرته، ثم قلت: وخير البر عاجله. لنبدأ إذا امرتم الآن.
— ماتخالف.

وكان على المنضدة الورق والحبر فجلست وكتبت ما رواه تلك الليلة من اخباره الاولى في الكويت.

وبعد ذلك، اثناء المدة السعيدة التي اقمتها في الرياض، اي ستة اسابيع، كان عظمته يروي من اخباره مايستغرق ساعة واحدة كل ليلة. فنتعاون انا والسيد هاشم في التدوين، وكنت استوقف عظمته في بادئ الامر مرارا لتفهم معنى لفظة من الفاظه، او عبارة نجدية الاصطلاح. وكنا فوق ذلك، رغبة في التدقيق والتحقيق، نقرأ قبل ان نباشر الكتابة ماكتب في الليلة السابقة، فيصلح عظمته ماقد يكون فيه من الخطأ.

هو ذا المصدر الاول الاعلى لهذا التاريخ. أضف الى ذلك رسائل عدة ووثائق رسمية اطلعني عظمته عليها، واذن بنسخ بعضها.

. . . .

بعد ان وصلنا في تاريخ نجد الحديث الى مؤتمر العقير عدت الى ابن بشر وابن بشر، تقطع النظر عن اسلوبه، وعقدت النية على تلخيص ماجاء فيه من الاخبار. مدقق في الاجمال وصادق الرواية. الا انه ينتهي في تاريخه عند سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠م) فيكون بينه وبين النكبة الاخيرة (اي خروج آل سعود من نجد) فترة مقدارها اربعون سنة، لم يرو السلطان اخبارها لانه لم يكن متحققها كلها، ولا اذن احد علماء الرياض، للسبب نفسه، بروايتها.

ولكنه، عندما ازمعت الرحيل، اعطاني كتابا الى احد عماله في شقراء، محمد السابحي، يأمره بان يكتب الى الشيخ ابراهيم بن صالح بن

بن عيسى في أُشيقر (قرب شقراء) ليرسل اليه تاريخه الخطي، فاطلع عليه

وانسخه، ثم يعيده الى صاحبه.

حيث شقراء، وراح نجاب السباعي الى أُشيقر، فوجد بيت المؤرخ

مقفلاً، وقيل له ان الشيخ ابراهيم في عنيزه. وكنا في طريقنا الى عنيزه، فرجونا ان

نجتمع بالمؤرخ فيها. وكان السباعي، سلمه الله، لو يثق كل الثقة بالتقادير، فأمر

نجابه بالرجوع الى أُشيقر يوم رحلنا من شقراء، وقال لي: اذا ظفر بالتاريخ

ارسله اليك حيث تكون في بريده او في عنيزه او في الحفر. واذا اجتمعت

بصاحبه في ~~[illegible]~~ طريقك فامسكه بأمري يتلو به.

وصلنا الى عنيزه فلم نجد فيها المؤرخ، ولو جاءنا من السباعي التاريخ. ولكنه غداة

دنونا من بريده خرج النجاب يلاقينا، وكان قد جاءها رأساً من أُشيقر، فسلم

واخرج التاريخ من جيبه قائلاً: بعد ان تقضي حاجتك منه رده الى السباعي

فيرده الى صاحبه. وهكذا كان. ~~[illegible]~~

وسرّني من تاريخ ابن عيسى، على ما فيه من الركاكة والسذاجة، انه خلو من

التقعر والسجع. واليك بمثال واحد منه:

«خرج عليهم (محمد ابن الامام فيصل على اهل عنيزه) واقتتل الفريقان

قتالاً شديداً، وصارت الهزيمة اولاً على محمد ابن الامام ومن معه، وتتابعت

هزيمتهم الى خيامهم، فأمر الله سبحانه وتعالى بالمطر، وكان غالب

سلاح اهل عنيزه البنادق، فبطل عملها من شدة المطر،

فكرّ عليهم محمد واصحابه، فهزموهم، وقتلوا منهم اربعمئة

رجلاً».

في ابن بشر وابن عيسى معاً تتم اذن تاريخ آل سعود منذ نشأتهم الى حين

استيلاء محمد ابن الرشيد على نجد. ولولاهما لما تمكنت من كتابة النبذة الثالثة من هذا

التاريخ

التاريخ. على انه، وانا اكتبها، خطر لي ان اقابل بين المؤرخين الوطنيين والمؤرخين الاجانب، خصوصًا في الحملات التي جردها على نجد محمد علي باشا وابناه طوسون وابراهيم.

التاريخ ذو شجون. فقد جرتني فتوحات سعود الكبير الى الحجاز، فمكة المكرمة، فالتقيت هناك ببعض الاوروبيين المستشرقين المتنكرين، فاستكشفت اخبارهم وآثارهم لاطلع على رأيهم في الوهابية يومئذ وفي اهل نجد. فعرفت ان السويسري بركهارت كان مقربًا من محمد علي، والاسباني باديا اي ليبلنج كان جاسوسًا لنبوليون الاول. وقد اتفق الاثنان في نزعتهما العلمية، وصدق الرواية، وان اختلفا في المقاصد السياسية.

عندما جاء بركهارت الحجاز، قادمًا من السودان، يوم كان محمد علي في الطائف. وصل اليه سأله الباشا عن احوال تلك البلاد التي كان يحكمها يومئذ ابنه ابراهيم.

(Travels in Arabia, John Lewis Burkhardt, London: Henry Colburn, 1829)

قال بركهارت في رحلته العربية

«وسألني الباشا اذا كان السودانيون يحبون ابنه ابراهيم، فاجبته بلغة الصدق انهم يحبونه، فان احوالهم تغيرت، ولم تتغير، اذ قد بدلوا ظالمًا بظالم بنظام واحد».

ولاشك ان محمد علي الكبير كان يحب بركهارت ويحترمه [redacted] لعلمه، [redacted] لصدق لهجته، فاذن له [redacted] بالدخول الى مكة وزيارة المدينة.

اما المستشرق الاسباني الذي انتحل اسم علي بك العباسي فلم يكن له مثل اولي الامر نصير، وما فاز بغير جبره ودهائه. احببت ان اطلع على رحلته التي طبعت بالانكليزية بلندن، فكتبت الى كتبي مشهور هناك اطلبها، فاجاب ان الكتاب غير موجود في المكاتب، وعرض ان يعلن في الجرائد عل هناك احدًا عنده نسخة يبيعها، فقبلت. وبعد شهر جاءني منه كتاب يقول

انه

انه حظي بنسخة من الطبعة الاولى، مجلدة بجلد الخنزير، سليمة تامة، ثمنها
عشرون ليرة انكليزية !

وكنت يومئذ اراجع التواريخ الافرنسية في نهضة محمد علي المصرية، فقرأت ما كتبه ادوار غوان (L'Egypte au XIX Siècle, Edouard ~~Gouin~~ Gouin, Paris 1847)
وبحثت في المكتبة ~~السوعية~~ الشرقية لاطالع تاريخ مانجن (Histoire de l'Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly, Felix Mengin, Paris 1823)
فلم اجد منه غير الجزء الثالث، وهو ملحق للتاريخ، كتبه جومار (E.F. Jomard)
فبحثت مكتبة الجامعة الاميركية، فحظيت فيها ليس بمانجن فقط بل برحلة علي بك ايضًا! وهي طبعة اميركية عن الطبعة اللندنية الاولى (Travels of Ali Bey, Philadelphia, John Conrad, 1816)

اما مانجن فقد وجدت في ما راجعت لغرضي انه ينقل احيانا عن تاريخ الجبرتي (عجائب الاثار في التراجم والاخبار) ووجدت ان الرواية في ما يختص بحوادث نجد تختلف كثيرًا عن رواية ابن بشر. الا ان في تاريخ المصري، وبالتالي الافرنسي، لبعض الاشياء التي فات ابن بشر ذكرها، او انه كان يجهلها. كالصندوق الصغير المشغّى الذي حمله عبدالله بن سعود الى الاستانة [illegible]، وفيه بعض اعلاق الحجرة النبوية التي كان يأمل ان يسترضي السلطان بها، فيعطيه الامان ويأذن له بالرجوع الى بلاده. هذا في ما يختص بالنبذة الثالثة.
......

هـ اما النبذة الثانية، محمد بن عبدالوهاب والوهابية، فقد كان لي في كتابتها عون آخر غير ابن غنام. اجل، قد طالعت، وانا في الرياض، رسائل ابن تيميه وغيرها من الرسائل الحنبلية في كتاب طبع بمطبعة المنار بمصر.

وها

وها اننا ، وقد ذكرنا النبذات عكساً ، في النبذة الاولى . نواحي نجد ، وهي لا تخلو
من صعوبة اذا تحرينا التدقيق في ضبط الاسماء ، اسماء البلدان . فكتب السياح المستشرقين
تضل غالباً في اعلامها ، وكتب الاقدمين العربية تروي اسماء بلدان دثرت ، واسماء البلدان
التي لا تزال في عالم الوجود غير المصطلح عليها لفظاً ومبنى . فلا بد اذن من الاستعانة
باحد علماء نجد المعاصرين . وبما ان الوقت كان قد ضاق دون ذلك يوم كنت في الرياض
التمست من عظمة السلطان ان يأمر احد العلماء بان يرسل مطلوبي الى الفريكة . فأرسل اليّ بدل
اسماء ~~البلدان~~ النواحي والبلدان نسخة من كتيب خطي عنوانه : مشير الوجد في
معرفة انساب ملوك نجد ، تأليف راشد بن علي الحنبلي . فجاء عوناً لي في تحقيق
انساب آل سعود ، ~~وآل الشيخ~~ وآل عبد الوهاب ، وعرب الشمال اي مضر وربيعة .
وكنت قد استعنت عندما مررت بعنيزة بالشيخ عبد الله بن محمد العبد العزيز البسام ، فكتب
لي شرحاً باسماء بلدان القصيم وسدير والعارض ، وبت انتظر وصول المعلومات الاخرى ،
فمرت الايام ، وتزاحمت الحوادث في نجد ، ولم تكتب النبذة الاولى .
وكانت حرب الحجاز . وكان من حظي ان اتشرف ثانية بزيارة السلطان عبد العزيز .
فذكرته ، وانا في جدة ، بتلك النبذة وبما وعدني به لاتمامها ، فقال : ما يخالف .
ولكني وجدته مشغولاً في مسائل أهم منها ، فسكت . ثم سألت الدكتور عبد الله الدملوجي
عن بعض البلدان فقال : لا يستطيع ان يجيب اسئلتك هذه غير السلطان ، وهو الملقب
بجغرافية البلاد العربية .
السلطان الاستاذ ! ولحسن الحظ ، عندما جئته ذات يوم بعد الظهر حسب العادة ،
لقيته يطالع كتاباً للسيد محمود شكري الالوسي ، عنوانه تاريخ نجد (المطبعة السلفية بمصر)
فسألته رأيه فيه فقال : لا بأس به ، ولكنه لا يخلو من اغلاط في اسماء البلدان .
فقلت ، وقد تمسكت بتلابيب الفرصة : اذن ، يا طويل العمر ، عليكم باصلاحها .
واخرجت القلم والدفتر من جيبي قائلاً : انا مأمورون
بان تكونوا الان الاستاذ وان اكون انا التلميذ ؟ انا مأمورون
ان ابدأ بسؤالي الاتي ؟
فاجاب

فاجاب مطمئناً : وما هي ؟ فذكرت بعضها ، فقال : الامر يطول . نأذنون اوذن ان امد رجلي .

فقلت مبتسماً : وهل في ذلك اشارة الى قصة الامام ابي حنيفة ؟ (١)

فرفع يده ضاحكاً وقال : لا والله . لا والله . القصة لا تنطبق عليك .

وكانت ساعة نادرة ذكرتني بليالي الرياض ، ومكنتني من كتابة المسودة الاولى .

. . . . .

اما مراجع هذا التاريخ الاخرى فاهمها ما يأتي :

الكتاب الاخضر النجدي .

كتاب الوفد الهندي .

الكتاب الاحمر الحجازي .

تقرير المندوب السامي لحكومة بريطانية العظمى في العراق من اول اكتوبر سنة ١٩٢٠ الى آخر مارس سنة ١٩٢٢

تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد (المطبعة العصرية بغداد)

مذكرات الفريق شفيق كمالي باشا (متصرف عسير والقائد العام فيها من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٢ ، ووالي البصرة سنة ١٩١٤) نشرت تباعاً في الاهرام في شهري نوفمبر ودسمبر سنة ١٩٢٤

عنوان المجد في احوال بغداد وبصره ونجد تاليف ابراهيم فصيح الحيدري البغدادي نسخة خطية

راجع كتاب النخيلي

ومن الكتب الانكليزية :

(The Heart of Arabia, قلب البلاد العربية
H. St. John Philby, Constable, London)

(Wanderings in Arabia, الطواف في البلاد العربية
Charles M. Doughty, Duckworth, London).

التغلغل

(١) كان ابو حنيفة يخطب في حلقة من مريديه في ان صلوة الفجر ينبغي ان تكون قبل طلوع الشمس ، وبينا هو يخطب ، وقد جلس مجلسه الاولى ومد رجله ، وهو شيخ جليل الطلعة ، وقبوراً هادئاً في الحلقة ، فنزع الامام الزنار له ، واستغرق في كلامه ان صلوة الفجر ينبغي ان تؤدى قبل طلوع الشمس ، فسأله الشيخ : واذا طلعت الشمس قبل الفجر ؟ فقال الامام ، وهو يعود الى جلسته الاولى : عند ذلك يمد ابو حنيفة رجله ولا يبالي .

(The Penetration of التغلغل في البلاد العربية
Arabia, D. G. Hogarth, Alston Rivers, London)

انك ترى اولاً مما تقدم ان اهم مصادر النبذات الثلاث هي نجدية، اي ان
ابن بشر هو ركن النبذة الثالثة، وابن غنام وابن تيمية ركنا النبذة الثانية، والسلطان
عبد العزيز، الملقب بجغرافية البلاد العربية، والشيخ عبد الله البسام الذي قال فيه عظمة السلطان
انه من العارفين المدققين، هما مرجعي في النبذة الاولى.
وقد اشفعت المصدر الاول الاعلى
اما السيرة فقد نقحت فحصتها.
بما استوجبه التدقيق من مراجعات ما طُبع في البلدان المجاورة لنجد، وما نشره
السياح المستشرقون، وبعض الترك والعرب، في ما يختص بالبلاد العربية لخمسين
سنة مضت.
ولا بد من ذكر مرجع آخر هو رحلتي العربية الاولى، ورحلتي الثانية الى الحجاز. فقد كنت
أثناء ذلك استقي الاخبار من مصادرها العليا، واسمع من ذوي العرفان ممن حدثتهم ما
يثبت او يكمل الرواية السلطانية، ما يتعلق بشخصيته، فيمسك النفس صاحبه مخبرها
وقد كان عظمته يتعفف الكلام في المواقف الشخصية
والثناء عليه. واني اختم هذا الفصل بقصة واحدة من القصص العديدة التي كنت اسمعها
التي تمثل الحلم والكرم في شخصية هذا العربي الكبير.
عندما كانت الحرب قائمة بينه وبين اقاربه "العرايف" في الاحساء، ارسل خصمه
سلمان بن محمد بن سعود وفداً من قبله الى قطر، وعُمان، ومسقط، والبحرين يستنجد
شيوخها على السلطان عبد العزيز. وكان العجمان يومئذ حلف "العرايف"، وكان
احد رجال الوفد من هذه القبيلة، فسافروا الى عمان، ومنها جازوا الخليج
الى لنجا على الشاطئ العجمي، وهم يقصدون سلطان الحمادي حاكم تلك الناحية
الذي يدّعي ان العجمان من العجم، فاعطاهم لذلك مئة بندقية واربعة الاف
روبية

روبية. ثم جاءوا البحرين فاعطاهم الشيخ عيسى مئة بندقية واثني عشر الف روبية.
وقد ساعدهم آل زايد بعمان باكثر من ذلك.

عاد رجال الوفد موفقين. وبينما هم مسافرون الى العقير التي كانت يومئذ بيد العجمان، ومعهم ما جمعوا من الاسلحة والمال لمحاربة ابن سعود، علم بهم الشيخ عبد الرحمن بن سويلم امير القطيف، فسارع الى ارسال عساكر في مراكب شراعية، طاردوا مركب العدو في البحر بين البحرين والعقير، ثم حاقوا به فحجزوه، والقوا القبض على ثلاثة من رجاله.

حدثني احد الثلاثة، وهو العجماني، قال: جاءوا بنا الى القطيف وارسلونا مقيدين الى السلطان عبد العزيز بالحساء. فلما وصلنا امر بفك قيودنا وباخذنا الى المضيف. وبعد ثلاثة ايام احضرنا الى المجلس وكل واحد منا لا يرى مناقشة غير الموت، فخاطبنا السلطان قائلا: يا عيالي نحن لا نقهر احدا. فمن كان منكم يبغي معزبه (شيخه او اميره) فالله به. ومن كان منكم يبغينا فاهلا ومرحبا. فقال واحد منا: انا يا طويل العمر افضل نارك على جنة سلمان، فامر له ببندق وكسوة وادخله في الجيش. وقال الاخران: ودنا نروح الى معزبنا نعتز واياه ونتنبح واياه. فامر لكل منهما بكسوة، وذلول، وحصان، وشيء من المال واطلق سراحهما.

وفي التاريخ بقية القصة التي انتهت بتسليم العرائف، وكانا

الحلم انجع مسعاه من السيف.

تاريخ نجد الحديث

النبذة الاولى: نواحي نجد

١٠ - ٢٠

تركيا
البحر المتوسط
البحر القزويني
بلاد فارس
حدود نجد والحجاز
الخط الذي لا يزال قيد المفاوضات
نجد
البحر السافى او الربع الخالى
حضرموت
بحر العرب
المحيط الهندي
صحراء النوبة
السودان المصرى
بلاد الحبشة
عمان
بلاد العرب

[illegible]

[illegible]

النبذة الاولى

نواحي نجد

تبعد منه جنوباً الى الافلاج ؛ وشمالاً الى الرياض .

الافلاج

١١

النبذة الاولى

نواحي نجد (١)

ب

ليس في نجد ارض يستوي سطحها وسطح البحر. فانك اذا جئت البلاد من خليج
فارس تمر بالحساء، ثم تأخذ بالتصعيد – والعرب يقولون التسنيد – وتستمر مصعدًا،
دون ان تدرك ذلك في اغلب الاحايين، الى العارض (١٨٠٠ قدم) فالشعره (٢٥٠٠)
فالحرة الصغيرة (٤٠٠٠) فرأس السيل (٤٥٠٠) ومن هناك تنحدر الى مكة.
واذا جئت نجدًا من البحر الاحمر، من جدة مثلاً، فتصعد الى الطائف (٦١٧٠ قدم) وتشرف
بعد ذلك على جبل حضن – من رأى حضنًا فقد أنجد – ومنه تنحدر الى نجد، وتستمر
في الانحدار دون ان تدرك ذلك لكونه في اكثر الاحايين غير محسوس، حتى تصل الى الحسا.
وبكلمة اخرى اذا شطرنا شبه الجزيرة شطرين من البحر الاحمر الى الخليج فارس عند هذا
الحد، اي من جده الى العقير، يظهر نصفها في هذا الشكل المخروط :

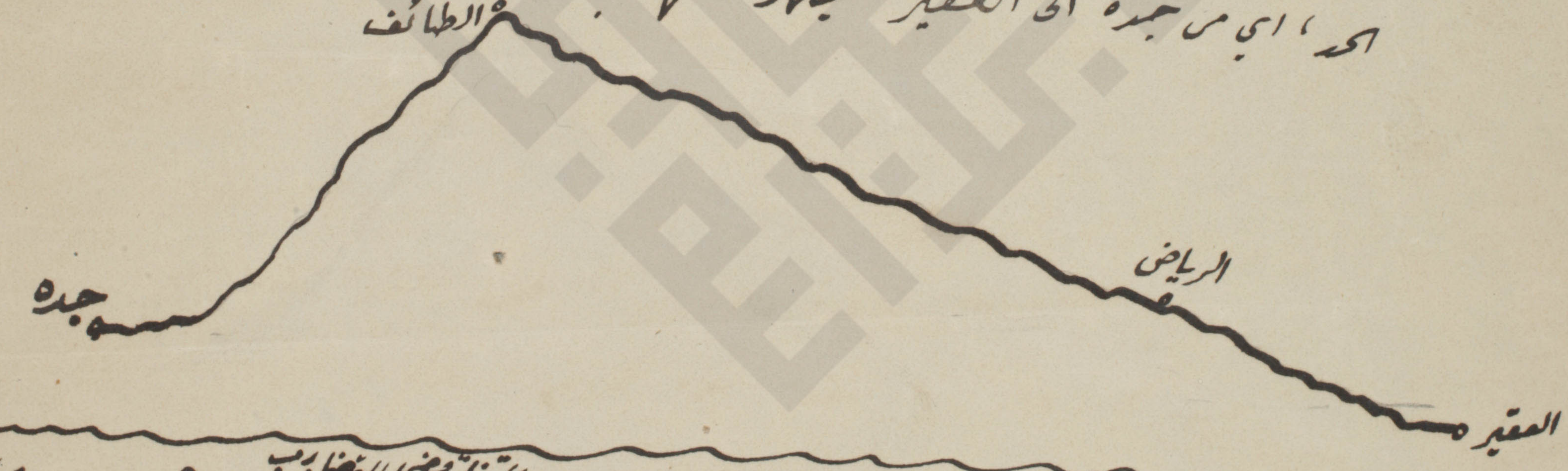

(١) في كتاب الالوسي صفحات ٦ و ٧ و ٨ شيء من كلام الاقدمين المتناقض المتضارب في ما هو نجد وما هي حدوده،
فللقارئ الراغب بمثل هذا العلم ان يرجع اليه.

اما حدود السلطنة النجدية الحاضرة فالذي قررته الطبيعة حد واحد فقط هو الاحقاف في
الجنوب او الربع الخالي. اما الحدود الاخرى فقد قرر ابن سعود الشرقية والغربية منها بالسيف،
وتقررت الحدود الشمالية، والشمالية الغربية والشرقية، بالاتفاق وصاحبة الانتداب في العراق
وشرقي الاردن، اي حكومة بريطانيا العظمى. وهذه الحدود ظاهرة في الخارطة الملحقة
بهذا التاريخ.

ان نجد ليصدق اذن معنى اسمه، اي هو المرتفع من الارض . وفي هذه الاراضي
المرتفعة، شمالًا وغربًا وجنوبًا، اماكن تختلف في العلو والوطاء بعضها عن بعض.
فالقصيم مثلًا يعلو الف قدم فوق العارضة، وحائل تعلو نحو ذلك فوق القصيم، واليمامة
هي خمسمئة قدم دون الرياض.

وفي هذه البلاد السهول والجبال، ومجاري الرمال، والاودية والشُعب، والواحات والنفاد.
فيها من الاراضي المنبسطة الفسيحة التي لا كلأ فيها ولا ماء كالصُمّان. ومن مجاري الرمل
التي تكثر فيها المراعي كالدهناء، ومن السهول التي تُزرع مرتين في السنة كالوشم،
ومن الواحات التي تغزر فيها المياه، وتتعدد البساتين، كالعارضة، والاحساء، والافلاج.
ومن البقاع العالية الطيبة التربة والهواء كالقصيم وجبل شمّر.

اما اطول سلسلة من جبالها فهي التي كانت تدعى قديمًا العارضة او عارضة اليمامة. والعارض
ما اعرض او برز في الارض. قال الشاعر:

وأعرضت اليمامة واشمخرّت . كأسياف بايدي مصلتينا .

وبما ان هذه السلسلة من الجبال تطوّق قلب نجد من القصيم الى وادي الدواسر،
فيتركز القسم الاعلى منها في الزلفي، والقسم الاوسط في العارضة، وتستمر غربًا بجنوب
الى الوادي، فاهل نجد يسمونها جبل طويق. وبما ان الاسرة السعودية
اتخذت الرياض مركزًا لها، وقاعدة لبلاد نجد، فقد اطلقوا على البلد اسم
الناحية اي العارض. فنقول اليوم طويق والعارض كما كان الاقدمون
يقولون اليمامة.

واليمامة هذه، التي كانت من اشهر البلدان النجدية قديمًا، والتي لا يزال اسمها يرن
في كتب الادب والشعر، هي اليوم واحة صغيرة تكاد تخنقها النفود، فيها اربع
قرى وبعض القصور، مساحتها نحو ميل واحد مربع، وعدد سكانها لا يتجاوز
الالفين، وهم مزارعون من بني مرة وقحطان وبني هاجر، يزرعون في بساتينهم
الرمان والعنب والتين، وبعض الفاكهة، الحنطة والبرسيم الذي يسمونه
وهذه البقية من اليمامة هي في وادي الخرج المنخفضة الذي
الجت.

ساعد

تبعد منه جنوباً الى الافلاج، وشمالاً الى الرياض. ولكننا قبل ان نعود الى
العارض سنعلم القارئ بالنواحي الكائنة جنوباً منه، واكبرها واخصبها

الافلاج

التي تكثر فيها الآبار، والعيون، والنخيل، وتزرع فيها الحبوب والثمار
وهي على سبعة مراحل من الرياض
وشيء من القطن. قاعدتها ليلى واكبر قراها البديّع، والاحمر، والهدّار.
وفي هذه الناحية بقعة تدعى السَّيح، منه العيون السائحة. بل فيها [redacted]
بحيرات عدة هي من مياه جبل طويق التي تتسرب غرباً بجنوب تحت ارضه الوشم
وفي وادي حنيفة، ثم تظهر على وجه الارض بصورة دائمة في الافلاج. اما العرب
الذين يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان، والدواسر، وسبيع. وبعد
الافلاج الى الجنوب الغربي

وادي الدواسر

وفي طرفه الشمالي ناحية تدعى السُّلَيِّل ومنها من القرى الدمّام، وحنابج،
ورويسه، وفرعه وغيرها. وفي طرفه الجنوبي ناحية تَثْلِيث ومن
قراها العَمق، ومطيله، وعلبان، وخريقه. اما سكان الوادي فاغلبهم
من عرب الدواسر الوشاوس البدو منهم والحضر. وجنوبي الوادي،
على ثلاثة مراحل منه

نجران

واكبر قراها مخلاف وحَبُونه، واهلها من بني يام الذين كانوا
في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة، فما دانوا لاحد غير شيوخهم. ولكنهم منذ
ثلاث سنوات دخلوا في [redacted] الدعوة السعودية فدينوا" وصاروا يدفعون
الزكاة

الزكاة طائعين . عند نجران تنتهي الحدود الجنوبية الغربية لسلطنة نجد . فنعود اذن شمالاً الى الشرق الى الوفلاج ومنها الى

الخرج

وهي ناحية مثل الافلاج خصبة التربة ، غزيرة المياه ، تزرع في بساتينها الثمار على انواعها من مشمش ودراق ورمان وتين وعنب ، وتزرع في ارضها الحبوب ، وتربى فيها احسن الجمال . قاعدتها الدلم على ثلوث مراحل من الرياض ، واهم بلدانها زميقه ، ونعجان ، واليمامة ، والسلمية في طرفها الشمالي .

وجنوبي الخرج وادي الفرع وفيه بلدان ، او بلدين كما يقول اهل نجد ، وسط جبل اليمامه ، اكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوبًا ثمانية واربعين ميلا . وفي اعلى الوادي الحريق وهي على مسافة اربعة وعشرين ميلا من الحوطة . اما اهل هذين البلدين فمن بني تميم الوشداء ، ومن غلاة الحنبلية المحافظين على تقاليدهم وعزلتهم ، الغيورين على استقلالهم .

عندما دانت بلاد نجد لابن الرشيد ظل اهل الحوطة التي هي حوطة بني تميم ، والحريق خارجين عليه متمردين . وعندما عاد ابن سعود ونازعه السيادة ابن عمه سعود العرافة نصر اهل الحوطة والحريق سعودًا على الشاب عبد العزيز . وكان ما كان من انتصار عبد العزيز . وللسلطان ضمن لاهل هذه الناحية ، اي الفرع ، استقلالهم النسبي على شرطة ان يعترفوا بسيادته ، فيدفعون الزكاة ويلبون الدعوة للجهاد . ومن البلدان الاخرى في الخرج نعام ، ومفيتقر ، والحلوة التي يغلب في سكانها عرب عنزى .

وفي طرف وادي حنيفة الجنوبي ، على مسافة خمسة وعشرين ميلا من الرياض ،

حائر

حائر النجاديين حائر سبيع لان سكانها من عرب هذه القبيلة، وقد نزحوا
اليها من الغرب. وفيها ايضًا السهول وهم حلفاء سبيع.

ومن حائر شمالًا بعد بضع ساعات من السير نصل الى البلد التي كانت
قديمًا تشاطر اليمامة الشهرة والمجد. هي المنفوحة بلد الشاعر زهير بن ابي سلمى
القريبة جدًا من الرياض، والتي اصبحت اليوم منفوحتين، الواحدة القديمة
ولا تزال خرائبها بادية للعيان والثانية الجديدة [illegible] على رمية سهم منها.

والسبب في بوار اودية مثل وادي الرمّه (والعرب يلفظونها مخففة)، وخراب مدن مثل اليمامه
والمنفوحة، هو اما انقطاع المطر اعوامًا متوالية فتجف العيون والابار
فينزح اهلها، او تهطال الامطار التي ترسل السيول في البلاد فتغمر
ما يلقونه في طريقها من العمران وتتركه خرابًا يبابًا. ومن هذه الاخربة ما
نشاهده في الخرج، وفي وادي حنيفة، وفي الباطن من وادي الرمه.

العارض

قلت ان العارض هو اسم الناحية والعاصمة معًا، وهي واحة جميلة تمتد
من سفح جبل طويق شرقًا الى المنفوحة، وفيها العيون العذبة والقليبات - الآبار -
المتعددة، والبساتين التي يزدهي فيها النخيل، وتتماوج في ظلاله اخضرار الحبة
والبقول.

ويلحق بالرياض او العارض عدة قرى كبيرة، منها في الشمال الدرعيّة الجديدة
وهي على ثلاث ساعات منها، وعرقه، والبوكباش التي كانت مسكن آل سعود الاقدمين
قبل ان اسست الدرعية، والعمّاريه، والجُبَيْله، احدى قرى بني حنيفة
ومسكن مُسَيلمه قديمًا، والعُيَيْنه بلد آل معمَّر ومسقط رأس محمد

بن

بن عبدالوهاب ..

وهناك جنوب العاصمة المنفوحة، والمصانع، وحائر سبيع التي مر ذكرها. وغربا منها، في طرف الحماده الكبرى خُرمه (تلفظ أُضُرْمه) وهي مؤلفة من قصور ومزارع عديدة تسمّى المزاحميّات. وجنوبي خرمه الغَطْغَط وفيها الاخوان المشهورون بالتهم، اخوان عتيبه. ثم البرّه على مرحلة منها شمالا، وهي اول بلد في الجهة الجنوبية من الوشم (١) اما

الحُماده

تمتد من الشمال الى الجنوب

التي ذكرت فهي سهل بين جبل طويق ونفود السر وفيه الزلفي وغيرها من القرى، بعضها في النفود الكائن بينها وبين عنيزه، وبعضها في السهل. ومن هذه القرى مليْح بين الزلفي والغاط، وفريسان، وهما هجرتان من هجر مطير. وجنوبي فريسان الداهِنه من هجر عتيبه.

اما الغاط التي هي بين المجمعة قاعدة سدير وبين الزلفي، على مرحلة واحدة من الاثنتين، فهي مشهورة بانها مسكن "السداره" (٢) من اعيان اهل سدير الذين صاهرهم آل سعود قديما وحديثا، وامّروهم في البلاد. فقد كان تركي السديري اميرا على عمان في الزمن الغابر، وكان ولده احمد، جد عبدالعزيز، اميرا على الاحساء في عهد الامام فيصل وولداه محمد وعبدالمحسن متوليين الحكم في القصيم وفي المجمعة. واهل الغاط هم الذين اشار اليهم شاعر نجد النبطي (العامي) حميدان

---

(١) راجع "ملوك العرب" الجزء الثاني صفحة ١٠٦

(٢) أم جلالة الملك عبدالعزيز من السداره

حميدان في قوله :

منه قابل خشم العرنيه   فالخاطر منقول ومخطره (١)

نعود الان جنوبًا الى النواحي التي هي شمالي الرياض، واولها

الشعيب

التي تفصل بين العارض وسدير، قاعدتها حريملا على مرحلتين من الرياض، وقد عمرت سنة ١٠٤٥ هـ . واهم بلدانها القرينه التي عمرت سنة ١١٠١ هـ وملهم، وصلبوخ، وسدوس التي فيها آثار قديمة قيل انها حميرية .

المحمل

التي عمرت سنة ١٠٧٨ هـ، وهي وثادق قاعدتها، والصفرات، والبير تدعى كلها اللهزوم .

اما الصفرات فهي عدة بلودين قريبة من ثادق . والبير جنوبي الصفرات من الشعيب والمحمل عمرت سنة ١٠١٥ هـ، ورغبه سنة ١٠٧٨ هـ .

نستمر مصعدين في جبل طويق الى

سدير

وهي من اكبر نواحيه . واهلها اجلاء طوال القامات اشداء . قاعدتها المجمعه عمرت سنة ٨٢٠ هـ ويقال لها ولحرمه منيخ، وهي تبعد مئة ميل عن عنيزه الى الشرق وبين البلدين النفود التي تمتد جنوبا الى حد وادي السر . اما بلدان سدير فعديدة

(١) الخشم راس الجبل، والخاطر العابر

فهي بلدة ، ومن اكبرها واقدمها حرمه (عمرت سنة ٧٧٠ هـ) ورغبي ، وجُوي ، وجلاجل ، والتويم (عمرت سنة ٧٠٠ هـ) والداخلة ، والحصون ، والجنوبية ، والعطّار ، والجنيفه ، والعودة ، وعشيره ، والخطامه ، وتمير ، والخيس ، والروضة (روضة سدير)

الوشم[1]

هذه الناحية هي غربي جبل طويق ، وغربا بجنوب من سدير . قاعدتها شقراء ، واهم بلدانها ثرمدا ، والجريفة ، والقراين ، واشيقر على ساعتين من شقراء ، والفرعه على رمية سهم من أُشيقر ، والقصب على ثمانية عشر ميلا من شقراء ، ومرآة بلد امرئ القيس ، والحريق وهي على مرحلة واحدة من روضة سدير .

القصيم

لم تكن تُعد في الماضي من نواحي نجد ، وقد لا يجوز ان نعدها اليوم الا من ملحقاته . فقد طالما تنازعت السيادة فيه كبيرتا بلدانه ، عنيزه وبريده ، ونزعت كلتاهما الى الاستقلال عن ابن الرشيد وعن ابن سعود . وفي "ملوك العرب"[2] الكفاية ان في هذا التاريخ الكفاية عن البلدين وامرائهما في وصف اهل القصيم وسجاياهم المزية التي تختلف عن سجايا اهل الجنوب .

اما اهم بلدان هذه الناحية ، بعد بريده وعنيزه ، فهي البكيرية (عمرت سنة ١١٨٠هـ) والهلالية ، والخبراء (عمرت سنة ١١٤٠هـ) والبدايع . وكلها لا تبعد عن عنيزه اكثر من خمسة وعشرين ميلا . ثم الرس وملحقاته وهي على مسافة خمسة وثمانين ميلا غربي عنيزه . ثم النبهانية على مرحلتين منها الى الغرب ، والمذنب على مرحلة منها الى الجنوب ، والقصيبا على مرحلتين منها الى الشمال ، والاسياح ، وعين فهيد ، والطرفية على مرحلتين شرقا من بريده . وهناك شمالا بغرب منه القصب ، على

---

(١) راجع ملوك العرب ، الجزء الثاني ، صفحات ١٠٧/١٠٩

(٢) الفصل الخامس عشر صفحات ١١٠/١١٧

خمسة مراحل منه

جبل شمّر

اي جبلا طيء اجا وسلمى وما يتبعهما منه السهول والجبال . اما حائل ، عاصمة شمّر، فهي من اكبر المدن العربية واجملها ، سكانها نحو ثلاثون الف ويزيد وهم مثل اهل القصيم يكثرون الاسفار والاتجار، ويبادرون بالترفه اهل الوطار، وبالبسالة والشجاعة اهل القفار . وهنادة قفار، وقنبه، ولبقعاء، وسميراء، وكهفة منه آبد القرى التابعة لحائل . فاذا سرنا منها شمالاً بغرب واجتزنا النفود الكبرى نصل الى جوف آل عمرو او

وادي سرحان

التي كانت لعرب الروله من عنزة فاستولى عليها ابن الرشيد ، ثم بعد سقوط حائل دخلت في حوزة ابن سعود . قاعدتها الجوف واهم قراها سكاكه، وكاف، وقرايا الملح، وأثره، وقراقر . وعند الطرف الشمالي منه وادي سرحان تنتهي الحدود الشمالية الغربية لسلطنة نجد .

الاحساء

هي اكبر، واخصب النواحي، بعد جبل شمر والقصيم، التابعة لسلطنة نجد . جاء في الكامل للمبرد (١): "احساء جمع حِسْي وهو موضع رمل تحته صلابة ، فاذا امطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يغيض، ومنع الرمل السمائم ان تنشفه . فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء . يقال حِسْي، أحساء، وحِساء" هذا الوصف علمي صحيح . الوان في هذه الاحساء واحات متفرقة اهمها واحتا الحسا والقطيف ، وبينهما ارض رملية مثل التي وصفها المبرّد . وفي هذه الواحات المياه الجارية، والعيون العذبة، والبساتين الغناء، والارض التي تصلح للزراعة، فيها فتزرع الحنطة، والشعير، والسمسم، والذرة، والارز . وفي الحسا قرب الهفوف عيون معدنية متنوعة، ماؤها حارة وباردة، اهمها عين نجم قرب المبرّز التي تتغنى الشعراء بمائها العجيب ماؤها المعدني الحار .

(١) الجزء الاول صفحة ٧٦ طبعة ليبسيك سنة ١٨٤٦ في ٤ اجزاء

فقد كانت الحسا في ايام القرامطة عاصمة هجر، ثم استولى عليها الامراء العيونيون (١)
وفي سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠م) في عهد السلطان سليم الاول، دخلت في حوزة الدولة العثمانية التي كانت
قد استولت على اليمن، فغدت الحسا من الولايات اليمانية. ثم أخلتها الدولة فاستولى عليها ~~[illegible]~~ بنو
خالد الى ~~[illegible]~~ ظهور آل سعود الذين ادخلوا بني خالد في طاعتهم.
وعلى اثر الشقاق الذي حدث بين ابناء الامام فيصل سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م) يوم كان
مدحت باشا متوليا بغداد، عادت الدولة الى الاحساء فاحتلتها، واطلقت عليها تيمناً
اسم لواء نجد. ولكنها في مدة اربعين سنة لم تتمكن من بسط سيادتها على باع من الارض
خارج الواحات.

هذه هي نواحي نجد واهم ملحقاتها ما عدا عسير، وفيها يسكن الحضر من اهل البلاد.
اما البدو فمسكناهم الخيام، وقد قل عددهم في عهد السلطان عبد العزيز بسبب
(القرى المستحدثة) الهجر التي شرع في تأسيسها منذ عشرين سنة (٢) فسكان نجد ~~[illegible]~~ الآن هم ~~[illegible]~~ اليوم
~~الحضر والبدو واهل الهجر.~~
~~[illegible]~~ اساساً ثلاث طبقات اي البدو واهل الهجر والحاضر

—

(١) راجع «ملوك العرب» الجزء الثاني صفحة ٢١٤
(٢) في الملحق اسماء هذه الهجر وعددها وعدد سكانها.

تاريخ نجد الحديث

اللبنة الثانية

محمد بن عبد الوهّاب والوهّابيّة

٢٠ب — ٢٠د

١ — ٣٠

النبذة الثانية

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

ولد سنة ١١١٥هـ ١٧٠٣م
توفي سنة ١٢٠٦هـ ١٧٩١م

نسب محمد بن عبد الوهاب

- عدنان
  - معد
    - نزار
      - ربيعة
      - مضر
        - الياس
          - طابخة
            - أد
              - تميم
                - مالك
                  - حنظلة
                    - شداد
                      - قاسم
                        - محمد
                          - بريد
                            - راشد
                              - أحمد
                                - محمد
                                  - علي
                                    - سليمان
                                      - محمد
                                        - عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب

- حسن
  - عبد الرحمن
    - اسماعيل
    - اسحق
      - عبد الرحمن
    - عبد اللطيف
      - ابراهيم
      - عبد الله
        - محمد
- علي
- عبد الله
- ابراهيم
- حسين
  - حسن
  - علي
  - محمد

من تآليفه

التوحيد في ما يجب من حق الله على العبيد

السيرة المختصرة

كشف الشبهات

كتاب الكبائر

اصول الايمان

فضائل الاسلام

احاديث الفتن

مختصر زاد المعاد

مختصر صحيح البخاري

مسائل الجاهلية

مجموع الحديث

استنباط القرآن

رسائل عدة ذكرها ونقل بعضها حسين بن غنام في تاريخه

"إن الدعاء كله لله، يكفر من صرف منه شيئاً لسواه"

محمد بن عبد الوهاب

"محبة الأولياء والصالحين إنما هي اتباع هديهم وآثارهم
والاستنارة بضياء أنوارهم"

محمد بن عبد الوهاب

"المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتُخذت أوثاناً تعبد من
دون الله، والأحجار التي تُقصد للتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز
إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته"

من رسالته الى عبدالله بن سُحَيْم

محمد بن عبد الوهاب

والوهابية

في وادي حنيفة ظهر مسيلمة الذي حارب النبي والاسلام فكان مدحورا . قتله خالد بن الوليد في وقعة الروضه . وفي وادي حنيفة ، بعد الف ومئة سنة ، ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي ~~حمل على~~ كافح البدع والخرافات فكان من الفائزين .

قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد ، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة ، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الأهواز ، او بالحري من بلاد فارس . فكان لايزال لاباحات القرامطة أثر في الاحساء ، وكانت للقبور شفاعة لاشفاعة فوقها ، فحلها الناس المحل الاعلى في العبادة والتوسل . والحق يقال ان هذه البدع ، او هذه الخرافات القديمة ، ابعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين الكبرى وجوهره الازلي الحي .

ابعدتهم عن الاسلام الذي جاء ليبطل عبادة الاوثان وكل ما فيه رائحة العبودية لغير الله . فعادوا الى ماكان فيه اجدادهم وامعنوا اكثرهم في الخزعبلات والاضاليل ، فلم يتوسلوا فقط الى قبور الاولياء بل تعددت القباب فوق القبور فصارت الشفاعة الكبرى للاحجار . وكانوا يعبدون كذلك

الاشجار

فيعلقون

الاشجار ، فيعلقون على اغصانها الرقاع ويقدمون لها النذور ،
ومن هذه الاشجار في نجد، خصوصاً في كهوف جبل طويق ووادي
حنيفة ، ما كانت تفوق سواها شهرة ، وتمتاز اسماً وفعلاً في
نظر عبادها الذين كانوا يجيئونها من اقصى نواحي الجزيرة متبركين
متوسلين .

قلت ان هذه العبادات ابعدت العرب عن الاسلام
بل انستهم حقائقه واركانه . فقلَّ منهم من كانوا يقرأون القرآن
ويفهمون . قال المؤرخ النجدي : "اهمل الناس الصلوة والزكوة
والحج وكانوا لا يعرفون حتى مركز الكعبة". وبكلمة اوضح عادوا
الى الوثنية ، فجاء ابن عبد الوهاب يعيدهم الى الاسلام . ومنذ
نشأته الى يوم وفاته كان يدعو للرجوع الى الكتاب والسنة ،
فانتشرت دعوته في نصف قرن في الحاضرة والبادية ، وعمت
في عهد سعود الكبير البلاد العربية جمعاء .

نعم قد كان في نجد علماء يتبعون الامام احمد بن حنبل في
المذهب والاحكام ، ولكن علمهم لم يخل مما يشوب طريقة
المجتهدين والمتصوفين . فكانوا من هذا القبيل يشبهون علماء
الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى

ومن كبار اولئك العلماء النجديين جد صاحب الترجمة
محمد بن سليمان بن علي التميمي . كان رجلاً فاضلاً كريماً ، تولى
منصب شيخ الاسلام في نجد ، ودرّس علي التفسير والحديث ،

وكان

وكان لحبه العلم ينفق على الطلبة من ماله الخاص. ناهيك بان بيته كان على الدوام مفتوحاً للفقراء والمظلومين اللاجئين الى بره واحسانه

وكان ابنه عبد الوهاب مثله من رجال العلم والحجى، تولى القضاء في بعض بلدان العارض فكان عادلاً حكيماً وألف رسائل عدة في الفقه والتفسير، ولقن ابنه محمداً شيئاً من العلوم التي كان يحسنها. اما سجيته الكبرى، تلك التي تميز العالم الحقيقي عن سواه من الناس، انما هي الوداعة والاتضاع. وناهيك بها من سجية تحمل صاحبها على الاقرار بالفضل حيثما كان، في ولد صغير، او في عدو كبير. وقد طالما استعان الشيخ عبد الوهاب بابنه محمد في حل المعضلات الفقهية والدينية، وهو القائل: "قد استفدت من ولدي محمد فوائد شتى في الاحكام".

كانت ولادة محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن علي التميمي في السنة الخامسة عشرة والمئة بعد الالف (١٧٠٣م) في العُيَيْنَة بوادي حنيفه • وقيل في حُرَيْمله. ولكن المؤرخ ابن بشر يزيل على ما ارى الريب في الرواية الاولى اذ يقول: "ولد في العُيَيْنَه قبل ان ينقل ابوه الى حُرَيْمله". فكأن عبد الوهاب نقل يوم كان محمد صغيراً فتضاربت بعدئذ الآراء في اية البلدتين مسقط رأسه. والاقرب الى الصحة رواية ابن بشر.

ولد

ولد على شيئ من الشذوذ ، وكان سباقاً في عقله وفي جسمه ، سريع البلوغ في الأثنين ، متوقد الذهن ، حاد المزاج . فقد أظهر القرآن قبل بلوغه العشر ، وبلغ الاحتلام قبل اكمال الاثني عشرة سنة . قال ابوه . "ورأيته اهلاً للصلوة في الجماعة وزوجته في ذلك العام". وما تم بعد ذلك ان حج وأدى المناسك على التمام و اقام شهرين في المدينة . ثم عاد الى بلده وأخذ في القراءة على والده . ولكنه لم يكتف بذلك فرحل طالباً المزيد . زار الحجاز والأحساء والبصرة مراراً . وكان الشيخ عبد الله بن ابراهيم آل سيف النجدي والشيخ محمد حيوة السندي المدني من اساتذته . فغرست في ذهنه مذاهب دلت في نموها الضئيل على ما تأصل فيه بمسقط رأسه تحت سقف والده من مذهب الامام احمد بن حنبل .

وكانت اكثر اقامته في البصرة حيث قرأ الكثير من كتب اللغة والحديث على الشيخ محمد المجموعي . ولم يحصر جهده في الدرس بل شرع يبشر هنالك بما تجلى له من حقائق التوحيد . وقد قال بعدئذ :

"كان اناس من مشركي البصرة يأتون الي بشبهات يلقونها علي فأقول وهم قعود لدي ، لا تصلح العبادة كلها الا لله ، فيبهت كل منهم ، فلا ينطق فاه ." وكان النفوذ الاكبر في البصرة في تلك الأيام لا يزال للشيعة ، مكبرة الأولياء . ولكن ابن عبد الوهاب الشاب لم يحجم عن القول الحق حسب اعتقاده ، فأدهش [illegible] الا القليل ، الناس

وأنا رهم [illegible]

وأثارهم عليه فأخرجوه ذات يوم من البصرة . مشى في الهجيرة مطرود
الزبير وكان في نيته ان يزور الشام ، ولكنه لضيق زاده انثنى عن عزمه
وجاء الى نجد فأقام ووالده عبد الوهاب في حريملاء ثم شرع
يبث مبدأ التوحيد ، وينادي باخلاص العبادة لله وحده .
وكان في حريملاء قبيلتان
فكان شديد اللهجة ، قوي الحجة ، فصيح . فلم يبعث من
لاحداهما رهط من العبيد لشدة الفساد والفسق فجاءهم الشيخ محمد ان يردعهم
كما في البصرة ، ويلبثون سالمين ، بل دهشوا واقتنعوا وكانوا له
فاغضبهم ذلك فقاموا عليه ليلا يريدون قتله ، ففر هاربا الى
الضارا . وقد الف في حريملاء كتابه الاول في التوحيد ثم
انتقل منها الى العُيَيْنَه .

وفي عودته الثانية الى مسقط رأسه يبدأ فعلاً بنشر الدعوة ،
بل قد نشبت هناك نيران حربها ، فرفعت بين الأنصار اعلام
التوحيد ، ولمعت سيوف الحق المسلولة على رءوس المعاندين
والمعارضين ! وكان الشيخ محمد يزداد شدة يوماً فيوماً ،
فانتشر امره في جميع بلدان العارض ، في حريملاء والعيينه والدرعيه
والرياض والمنفوحة ، وتعددت اتباعه واعداؤه . ومنهم
جوير بالزلزال ثنيان بن سعود واخاه مشاري كانا من انصاره
الأولين .

ولكن النصير الاول الكبير هو عثمان بن معمر الذي كان يومئذ أمير
العيينه . وقد اتفق ابن معمر وابن عبد الوهاب على العمل
الأول الخطير في نشر الدعوة ، العمل الذي أضرم نار الحماس ونار
العداء في الناس .

قلت ان عرب نجد كانوا يومئذ يقدسون القبور ، بل كانوا
يعبدون القباب فوق القبور ، والأشجار التي يزرعونها في ظل القباب ،

فأول

فأول ~~نادل~~ ما باشره الشيخ محمد هو انه امر الامير عثمان تلميذه الأول من الأمراء الحاكمين، بهدم القباب والمساجد المبنية في الجبيله على قبور الصحابة وبقطع الأشجار التي كانت تتوسل اليها الناس.

قبل الأمير، وخرج والشيخ وجماعة من الأنصار الى الجبيله فهدموا قباب القبور، قبور الصحابة هناك، ثم تناول الشيخ محمد الفأس بيده وانهال به على الشجرة التي كانت مشهورة في وادي حنيفة بعجائبها، شجرة "الذيب" ولية الفتاة طالبة الحبيب، والارملة ذات القلب الكئيب، والزوجة حاملة الطيب، تبغي الابن النجيب.

صاحت الشجرة العجيبة وهي تهوي الى الارض، فكان لصوتها الرهيب صدى تردد في شعاب الوادي وفي جبال سدير. واقتدى التابعون ~~بالشيخ~~ بامامهم فشرعوا يهدمون القباب ويجعلون القبور مسنمة كقبور الصحابة.

هذا هو الحادث الاول الخطير في تاريخ الدعوة. ولكن الحادث الثاني هو اشد منه خطورة لان فيه قطع امرأة لا قطع شجرة. انت تعلم ان الشرع الاسلامي يوجب قتل الزانية رجماً. ودعوة الشيخ انما هي الرجوع الى الشرع - الى القرآن قبل كل شيء. وكانت الزانية في العيينة ~~[illegible]~~ باقرارها وبشهادة اربعة أعيان (١) وقد ثبت زناها فجيء بها الى الساحة وامر الشيخ ان تشد عليها ثيابها وترجم. رمى الامير عثمان بن معمر الحجر الاول وتبعه الراجمون ليتم الحكم المشروع بالسنة والاجماع. لم يذكر التاريخ اختياً لهذه الفاجعة، فكان الشيخ رأى فيها

(١) اقلب

(١) وقيل ان امرأة بغي جاءت الى الشيخ تلتمس التوبة على يده فردها اولاً وثانياً وثالثاً ثم حكم عليها ~~بان تُرجم~~ بالرجم.

الارهاب الكافي . رُجمت الزانية ! فسرى خبرها سير البرق في
البوادي والحضر ، ووقع وقع الصاعقة في القلوب الاثيمة والقلوب
الطاهرة ، فسكت اناس ، وصاح آخرون ، ومن هؤلاء اهل
الحسا الذين قاموا يحتجون . وقد كانوا كما قلت مستمتعين باشياء
من الاباحات القرمطية ، فكتب اميرهم سليمان آل محمد رئيس
بني خالد الذى كان الحكم يومئذ حتى في العارض ، وكان ابن معمّر
عاملاً له ، يهدد الشيخ المصلح بالقتل اذا كان لا يرجع عن غيّه
"في تخريب قلوب المسلمين وافساد دينهم ."

لم يرجع الشيخ المصلح عن دعوته . فارسل الامير سليمان الى عامله
الامير عثمان يأمره بقتل محمد بن عبد الوهاب . فرأى الاميران خير
طريقة لحفظ منصبه وخلاص صاحبه هي ان يغادر الشيخ العُيينه . فكانت
~~كذلك كان~~ الهجرة الثالثة وهو في الثانية والاربعين من سنه .

رحل المصلح الى الدرعية وهي نحو عشرين ميلاً من العيينه شرقاً بالجنوب (١)
فنزل هناك ضيفاً على احد تلاميذه احمد بن سويلم فتهافت
عليه الانصار وبالغوا في اكرامه . ولكن محمد بن سعود امير الدرعية
تردد في مقابلته ، فألح عليه بذلك اخوانه ثنيان ومشاري ،
فظل متردداً . ثم لجأوا الى زوجته (٢) وكانت من النساء العاقلات
النبيهات ، فأخبروها بما يدعو الشيخ اليه وبما ينهى عنه فارتاحت
الى

---

(١) في كتابي "ملوك العرب" الفصل ١٤ ص ١٠٢ وما يلي من القسم الخامس (الجزء الثاني)
وصف لوادي حنيفة وبلدانه .
(٢) هي موضى بنت ابي وهطان من آل كثير

الى ذلك ووعدتهم خيراً . وان عملها يدل على ما للمرأة حتى داخل
الحريم ووراء الحجاب من التأثير الطيب ، لأنها كانت عاقلة وعاملة في شؤون الامة .
قالت هذه "الخديجة" الفاضلة لاميرها ابن سعود : "ان هذا الرجل
ساقه الله اليك وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به".

قبل الأمير قولها "وقذف الله في قلبه محبة الشيخ ومحبة ما دعا
اليه" فاراد ان يدعوه للمقابلة فقال اخوه مشاري : "سر برجلك
واظهر تعظيمه وتوقيره ليسلم من اذى الناس". فسار محمد بن سعود الى بيت
ابن سويلم ورحب بابن عبد الوهاب قائلاً : « ابشر ببلد خير من
بلادك وبالعزة والمنعة.» فقال الشيخ : « وانا ابشرك بالعز والتمكين
اذا عاهدتني على كلمة التوحيد التي دعت اليها الرسل كلهم.»
~~[illegible] المئة والالف ([illegible])~~

وفي ذلك اليوم عقد العهد الذي جمع بين عقيدة المصلح
وسيادة الأمير - بين المذهب والسيف - فتعهد ابن سعود بنشر
دين التوحيد في البلاد العربية ، وتعهد ابن عبد الوهاب بان يقيم
في الدرعية معلماً ، وان لا يحالف اميراً آخر من امراء العرب .

ولا يزال هذا العهد مرعياً بين البيتين . بيت سعود وبيت
الشيخ (١) حتى اليوم

---

(١) في نجد يُعرف محمد بن عبد الوهاب بالشيخ وسليلته ببيت الشيخ.

٢

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقد الرابع من العمر سنة بايع ابن السعود (١١٥٧هـ ١٧٤٤م) على ان يكون اماماً يتبعه المسلمون، وتعاهد الاثنان على كلمة التوحيد ونشرها بين العرب.

ولما علم الأمير عثمان بن معمر بذلك جاء يسترضي صديقه ويسأله الرجوع الى العُيَيْنه فلم ينفذ بغيته. ذلك لان الشيخ عاهد ابن سعود على ان يقيم في الدرعية فجعلها مقره الدائم، فاصبحت في الشطر الثاني من حياته قطب دين التوحيد، ومطلع انوار العلم التي كانت تنبثق من شمسه المشرقة. فقد تخرج عليه اناس كثيرون، وكان يرسلهم الى البلدان القاصية والدانية مبشرين، معلمين، مرشدين، منذرين.

كانت الدرعية يومئذ بلدة صغيرة قليلة اسباب الرزق والثروة. ولما كثر الوافدون على الشيخ ضاق بهم العيش فكانوا يحترفون في الليل ويتعلمون في النهار. وما دنا القرن الثاني عشر من الزوال حتى اصبحت اكبر مدينة في البلاد العربية يقيم فيها العرب من اليمن وعمان ومن الحجاز والعراق والشام.

قد رأى ابن بشر الدرعية في زمن سعود بن عبد العزيز فدهش مما شاهده من مظاهر الثروة والعمران. وقد وصف موسمها فقال "نظرت الى موسمها يوماً وانا في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلها الغربية التي فيها آل سعود المعروفة بالطريف، وبين منازلها الشرقية المعروفة بالبُجَيري التي فيها ابناء الشيخ، ورأيت موسم الرجال في

في جانب، وموسم النساء[1] في جانب، وما فيه من الذهب والفضة والسلاح والابل والاغنام، وكثرة ما يتعاطون من البيع والشراء، والاخذ والعطاء، وهو مد البصر لا تسمع فيه الا كدوي النحل من الاصوات، والدكاكين الى جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الثياب والقماش وانواع الالبسة والسلاح ما لا يوصف".

عمرت كلمة التوحيد الدرعية، فاصبحت في ايام سعود الكبير عاصمة البلاد العربية، وصار الشيخ محمد فيها المرجع الاعلى في العلوم والاحكام. ولكنه مع ذلك ظل يعلم وينشر ويؤلف ويراسل ويناقش نشراً للمذهب ودفاعاً عنه. وكان اولاده الخمسة حسن وحسين وعلي وعبدالله وابراهيم عوناً له في التعليم. قال ابن بشر: "قد رأيت لهؤلاء الخمسة مجالس ومحافل للتدريس في بلد الدرعية وعندهم الطلبة الكثيرون من سائر نواحي نجد ومن اهل صنعاء وزبيد وعمان وغيرها من الاقطار.

اما التعليم فقد كان مجاناً، بل كان للطلبة نفقة جارية من بيت المال، وللاذكياء منهم جوائز فوق ذلك من مال وكسوة. هنالك تلألأت انوار الدينية والفقه والحديث. وكانت الدرعية في تلك الايام مثل رومة في العهد المسيحي الاوسط، وكانت مدارس الشيخ محمد واولاده مثل المدرسة الكبرى برومه لنشر الايمان. ولو هذا النجدي الكبير نشأ في بيت العلم والزهد فاشرب روحه بنيه واخذ احفاده وابناؤهم

[illegible]

---

(١) للنساء حتى اليوم في نجد سوق خاص بهن يبعن ويشترين فيه

وابناؤهم العلم عنهم وعنه . وهم لا يزالون حتى اليوم محافظين على هذا الارث الثمين ، الا انه ينقصهم شيء من المرونة العقلية والروحية ، فلا يعادون عبثاً سنة التطور والعمران .

لم يتدخل الشيخ محمد في شؤون الملك المدنية ولكن الامير محمداً وابنه عبد العزيز كانا يستشيرانه في امورهم لعلمهما بالاحكام الشرعية فيها ، وكانت له الكلمة الاولى في المبايعة على الامامة .

٢

ظلت الدرعية قطباً للعلم والتعليم الى يوم دمرها ابراهيم باشا المصري . وبعد ان استوطنها الشيخ شرع يكاتب الرؤساء والمشايخ يحذرهم من الشرك ويدعوهم لدين الله دين التوحيد . وكان آنئذ سليمان آل محمد امير الحسا ، وابن مُغْلِق امير القطيف ، وابن ثويني اميراً في البصرة ، وابن دواس حاكماً مستقلاً في الرياض ، وكلهم اعداء المذهب التوحيد الجديد ، هم الامراء المعادون . وهناك العلماء السنيون والشيعيون حتى والحنبليون الذين سخروا منه ، وافتروا عليه ، وشرعوا يتهمونه بكلما أُتهم به الخوارج من قبل ، حتى ان بعضهم سعى لدى الحكام في قتله .

يعني في نظر هؤلاء الجهلة ولا [illegible] المذهب القديم الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله واصحابه

اول من خالفه وكفره وسعى الى العلماء في البصره والاحساء والحرمين في مقاومته وقتله محمد بن سُحَيْم وابنه سليمان من مطاوعة الرياض ، فقالوا ان ابن عبد الوهاب خارجي ، بل من اقبح المضللين والكفار ، واشر الخوارج والفجار . ومن جملة منه رفض دعوته ورد عليه

في

في بادئ الأمر اخوه سليمان بن عبد الوهاب الذي كان متولياً القضاء في حريملاء . ولكنه اهتدى بعدئذ وتاب ، فاقر اخطاءه وقال ان كتابه لم يكتب لوجه الله .

حارب المصلح العلماء اعداءه بالعلم . ولكن الجهلة أي عامة الناس الذين اثارهم العلماء عليه ، لايقرأون ، وقلما يفهمون ، فلا يميزون بين الزيارة والعبادة مثلاً ، وبين الاكرام والتوسل . قيل لهم ان ابن عبد الوهاب ينكر كرامة الأولياء ، وهو لاينكر غير الدعوة لهم . وقيل انه يحرّم زيارة القبور وهو لم يحرم غير عبادتها والتشفع بها . ولكن العربان لايقرأون وقلما يفهمون غير لغة العنف والقوة . وقد احرز المصلح في تحالفه وابن سعود سيفاً بتاراً . فالذي لايفهم بالقلم يُفهَم بالسيف ، والذي لايرتدع بالحسنى يُردَع بابن عمها .

استلّ محمد بن سعود الحسام وراح ينهي الأعراب عن افعال الجاهلية ، ويدعوهم لدين الحق الا وهو الاسلام المجرد من الخرافات بالكتاب والسنة وبادرهم بالعمل . وكان اتباع ابن عبد الوهاب يدعون انفسهم بالمسلمين واعداءهم ~~اعداءهم~~ بالمشركين

أشهرت الحرب على المشركين في السنة الاولى (١١٥٧ هـ) من العهد الوهابي السعودي فكانت الوقعة الاولى في رياض بين رجال ابن سعود ورجال دهّام بن دوّاس . ودهّام هذا عصامي دون فضيلة اخرى له تذكر الا الثبات ، اغتصب الامارة ، وهو من خدّام القصر واستمر اميراً

اميراً ثلاثين سنة في زمن الزعازع الدينية والفتن والحروب.

كان دهام خادماً لعبد يدعى خميّس قتل قاتل امير الرياض

زيد بن موسى ابا زرعه وتولى مكانه. ثم فر هارباً فتولى الامارة

دهام خادمه فقامت عليه الأهالي، فاستنجد بابن سعود فانجده

واقره في مركزه. ولكن العبيد مناكيد فكيف انجادهم؟

دعا ابن سعود صديقه ابن دواس لدين التوحيد فابى،

ثم انذره فاستكبر. وقال: ومن هو ابن مقرن ليحمل مفاتيح الجنة وينذر

الناس بالنار؟ نشبت الحرب. وكان ابن دواس فيها اشد

اعداء التوحيد وآل سعود. حاربهم في الدور الأول عشر سنين وهو

يحتل اليوم بلداً ويخليه غداً. وحاربهم كذلك بالدسائس والفتن،

فقد ظهرت الردة في سنة ١١٦٧ هـ في بعض بلدان العارض التي كانت

في حوزة ابن سعود وكان هو من عواملها الخفية.

ولكن المصلح غلب المفتن. بادر الشيخ محمد الى انجدة ابن سعود

في تأديب المرتدين. جاءت الكلمة النارية تشحذ السيف

وتعضده. فقد دعا الشيخ الرؤساء والزعماء من جميع البلدان الى

الدرعية وخطب فيهم باسم الله، فاعاد الى قلوبهم قبس الايمان

واضرم فيهم ثانية نار الجهاد.

ومع ذلك استمر ابن دواس يحارب ابن سعود عشرين سنة، يحاربه

بالمقاتلة والمخاتلة. والاه ثم عاداه مراراً. عاهده اربع مرات

حباً بدين الله والسلام، ونكث اربع مرات عهده. حتى انه انضم مرة الى

جيشه

جبشة وحارب المشركين، ~~ولكن~~ على انه بعد تعدد الوقعات والهدنات والمعاهدات والخيانات وجرت في سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣م) الدحرة الناسفة النهائية. دحره الأمير عبد العزيز بن محمد الذي دخل الرياض ظافراً. ~~ولكن~~ لكنه لم يظفر ~~بدهام~~ بدهام الدواس الذي فر هارباً الى بلاد الخرج وتوفي هناك.

وكان للموحدين عدو آخر لدود يدعى عُرَيْعِر خلف الامير سليمان رئيس بني خالد في الحساء. فقد جاء ~~العريعر الحا~~ بجيش جرار من العربان ~~...~~ وفيهم جنود من عنزي كبيرهم ابن هذال (1)، وبمدافع حملتها الجمال فاجتازت بها الدهناء. نُصبت المدافع وحوصرت الدرعية وانضم الى العدو كثيرون من اصحاب الردة ومن اهل الوشم وسدير الذين ترددوا في قبول التوحيد.

وقد كان عُرَيْعِر صاحب مكر وحيلة، بل كان مخترعاً. فبعد ان حاصر الدرعية شهراً دون نتيجة يشكر عليها اخترع آلة جديدة للحرب سميت الزحافة. وهي صندوق من خشب يسير محمولاً على دراريج، يجلس فيه من العشرة الى العشرين رجلا، وهم في أمن من رصاص العدو، فيسوقونه الى السور يريدون هدمه. وما اشبه زحافة عُرَيْعِر بدبابة اليوم. ~~...~~ ثم حاول عُرَيْعِر ان يصب مدفعاً كبيراً ضخماً يدمر به الدرعية فأمر بجمع الحديد والنحاس لهذه الغاية وباشر العمل. بشبت النار ونفخت

---

(1) كانوا ولا يزالون ضد اعداء التوحيد وآل سعود، وكبيرهم ~~...~~ اليوم فهد بن الهذال شيخ العمارات فخذ من عنزي.

ونفخت المنافخ، وذابت في المراجل المعادن، ولكنها في النهاية صدت
الطالب، وعصت القالب. قال مؤرخ ذلك الزمان:
«كلما افرغها في القالب أبت»

وكان لعريعر ابن اسمه سعدون لم يرغب مثله في التوحيد
فحمل على اهله في الجنوب. اجتاز الدهناء بجيشه ومعه المدافع
ايضاً، وهو يبغي اليمامة لينجد اهلها على الموحدين. ولكن بعد
ان جاء اليمامة بمدافعه، عاد منها بدونها، مثلما عاد ابوه من
الدرعية. (ولا تزال هذه المدافع محفوظة في بريده).

كسر الاب وكسر الابن، فجاء للمرة الثالثة موحدين قواهما ــ
لابد من التوحيد على الاقل في القتال ــ وجاءا بريده، فاستمر
الحصار اربعة اشهر، واستخدمت فيه الزحافات التي لم تخفف
عنهما الاب والابن وجيوشهما ذل الخيبة والاندحار.

ولكن اهل التوحيد لم يستفيدوا من هذه الغلبات المتوالية لان
وجود العدو في نجد كان يشجع على العصيان اولئك الذين اكرهوا
في دينهم، واولئك الذين تخاذلوا. لذلك تعددت الردات في
الشمال وفي الجنوب. فكان الموحدون اذا امسكوا القصيم يتفلت من
ايديهم الخرج، واذا حدثت الجمعة تعود اليمامة الى شركها القديم.

اول من باشر الجهاد في سبيل الدعوة الامير محمد بن سعود واخوانه.
ولكن بطل التوحيد الاول هو عبد العزيز بن محمد الذي كان يغزو في الجزيرة شمالها وغربها
وشرقها وجنوبها ست غزوات في بعض الاعوام، فوصل في الجنوب الغربي
الى [illegible] اي صار وهابياً او بالحري اتخذ التوحيد له ديناً

[illegible]

الى وادي الدواسر وفي الشمال الشرقي الى السماوة بالعراق .

باشر الغزو في سبيل التوحيد وهو شاب وباشره كذلك ابنه

سعود - سعود الكبير فاتح الجزيرة .

قد عاش محمد بن عبد الوهاب ليسمع بهذا النصر المبين وليشاهد

ثمار دعوته في من كانوا يؤمّون الدرعية من سائر الأقطار ليسلموا عليه .

ولكنه لم يعش ليسمع بفتح الحجاز ودخول سعود ظافراً الى مكة المكرمة .

فقد كانت وفاته قبل ذلك باثني عشرة سنة ، اي في السنة السادسة

والمئتين والالف (١٧٩٢م) يوم كان سعود يحارب عرب المنتفق

خارج البصرة ، يوم كانت جيوش الشريف غالب زاحفة منه الحجاز

لمحاربة اهل نجد .

ان

في الصفحة الثالثة من كتاب(١) يتضمن عدة رسائل لمحمد بن عبد الوهاب وابن تيمية مايلي :-

اعلم رحمك الله انه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بها :

اولاً — أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل ارسل الينا رسولاً . فمن اطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار .

والدليل قوله تعالى

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً .

سورة المزمل آية ١٥

الثانية — ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته احد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً

سورة الجن آية ١٨

الثالثة — ان من اطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان اقرب قريب . والدليل قوله تعالى

لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .

سورة المجادلة آية ٢٢

---

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بمصر على نفقة عيسى بن رميح من اهالي نجد وهو يوزع مجاناً . وكذلك "التحفة السنية" التي طبعت على نفقة الامام جلالة الملك عبد العزيز

انت

شرى اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مثل ابن تيمية والامام احمد بن حنبل، يعود في هذه الاصول الى المصدر الاول الاعلى - الى القرآن. فكل ما هو مبني عليه من العقائد والأحكام لا يُرد ولا ينتقد ولكن الحنابلة والوهابيين لا يختلفون في هذا والائمة الاخرين. انما الخلاف في التفسير والاجتهاد. فالجعفريون اي علماء الشيعة وهم على جهة الاجتهاد في التطرف، يفتحون الباب على مصراعيه. والحنابلة وهم على الجهة الاخرى المناقضة يقفلونه. يقرأ الجعفريون بين سطور الكتاب، وفي تلافيف الآيات، ما يبنون عليه الأحكام، وما لا يخلو في بعض الاحايين من ابهام، فيتخذون التفسير وسيلة للفرار من حصر الآية الحرفي. ويقول العلماء الحنابلة ان لا باب بعد الخلفاء الراشدين للاجتهاد، وان كل ما في الكتاب واضح جلي. وهناك بين الفريقين علماء المذاهب الاخرى اي الحنفيون والشافعيون والمالكيون الذين يثبتون حق التفسير ولا يغالون في استخدامه.

بعد الكتاب تجيء السُنّة وهي محترمة متبعة عند الحنابلة والوهابيين. ولكن الاسناد في السُنّة لا يكون دائماً محققاً فيثبت بعض المحدثين بعض اعمال النبي ~~واعماله~~ واقواله، ويثبت كل المحدثين بعضها، ويختلف المحدثون في جلة منها. هو ذا منشأ الاختلاف بين ~~الناصين والمفسرين~~ الشارحين المفسّرين.

ولكن الامام احمد بن حنبل اهتدى على ما ارى الى الطريق التي فيها العلم الوضعي، الواضح الجلي، في ما هي السنة. وكأنه غربل الأحاديث

ونبذ

ونبذ كل ما لبس عليه الاجماع، فلا يقبل الا ما يثبته كل الائمة.
وقد توصل والحال هذه الى اصح الطرائق العلمية وجاء بمذهب
في الانتخاب، ولنا ان نقول في التفسير، يصح ان يدعى بالمذهب
العقلي الوضعي.

هي القاعدة التي وضعها ~~وقد وضع~~ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ~~القاعدة هذه~~ في
قوله: "الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب، وما قاله
وعمل به الاصحاب، وما اختاره الائمة الاربعة المقلدة في الاحكام
المتبعة، فقد انعقد ~~[illegible]~~ على صحة ما قالوه الاجماع." ثم قال:
"والسنة في عرف العلماء المتأخرين هي السالمة من الشبهات
في الاعتقادات".

وقد قام ابن تيمية في ~~[illegible]~~ القرن الثامن للهجرة لينصر ابن
حنبل وينشر مذهبه، فألف الرسائل في الحديث والعبادات،
في زيارة القبور، وكان للائمة ~~[illegible]~~ مثل الرسول بولس ~~[illegible]~~ للمسيح.

قد اسلفت القول ان اهل نجد على ما كانوا فيه من سخيف
العبادات، هم اصلاً حنابلة. وقد كان جد الشيخ محمد وابوه
وغيرهما من القضاة يستخرجون الاحكام على مذهب الامام احمد.
فقد طالما تمثل ~~وكان~~ الشيخ محمد رحمه ~~[illegible]~~ بهذه الابيات:

بأي لسان اشكر الله انه — لذو نعمة قد اعجزت كل شاكر
هداني الى الدين القويم تفضلاً — علي وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل — عليه اعتقادي يوم كشف السرائر

قد كان

الاحسن ان يقال لينصر الحق ويبين ان مذاهب الائمة كلها هو افق للحق لم تخالف في [illegible] ولله الحمد

لم ينصر ما رآه حقاً ويبين ان مذاهب الائمة كلها لم تختلف في الحق بعضها عن بعض

قد كان الشيخ محمد معجباً ايضاً بابن تيمية مكثراً من مطالعة
كتبه. وهو القائل: "لست اعلم احداً يجاري ابن تيمية في علم الحديث
والتفسير بعد الامام احمد بن حنبل". انك ترى اذن ان المذهب الوهابي
هو في اصوله المذهب الحنبلي. وازيدك علماً ان كثيرين من اهل
النجد — من اهل التوحيد — يدعون انفسهم حنابلة ويؤثرون هذا
اللقب على سواه.

ما فضل ابن عبد الوهاب اذن؟ ان فضله بالرغم عما ذكرت
لعظيم. ليس من الواجب ان يكون المصلح مبتكراً طريقة او مكتشفاً
لناموس جديد في الكون او في الحياة. ان المصلح لمخلص اولاً ~~في الدرجة الاولى~~ في
يقينه لا يهادن فيه ولا يحابي، وهو مخلص في عمله لا يخرج فيه عن يقينه،
وانه اذا ما بلغ هذه الدرجة من الاخلاص لمتعصب، والمتعصب
مقاتل حتى يستقيم المعوج وتصفى موارد العبادة واليقين.

اما مواد العمل واسباب الاصلاح فقد تجدها مدفونة في زوايا
النسيان، في ظلمات الماضي، مكفنة بالغبار والصدأ والعنكبوت،
ولا يزال الرمق فيها، لا يزال، رغم ما أثقلت به من الخزعبلات والخرافات،
على شيء من الحياة. ان المصلح ليجد ها هنا ~~...~~ دعوته ومصدر العمل والالهام.
اجل، حيثما الحياة هناك ايضاً بذورها، وحيثما البذور هناك النشوء
والنمو والخلود.

انّا نقول اذن ان
الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي انقذ المذهب الحنبلي مما كان
يكتنفه في نجد من اسباب الفساد والاضمحلال. هو الذي اكتشف بذور
الحياة

الحياة فيه فاعاد زرعها ، جدد تويجها فهل ندعوه مجدداً؟ انه لكذلك. وفوق ذلك. هل ندعوه مصلحاً؟ قد كان ولا شك الباعث الاكبر للاصلاح الكبير في نجد، ولكنه قصر اذا توسعنا بمعنى الكلمة دون الاصلاح الاكبر في الاسلام. عاد الشيخ محمد الى الكتاب والسنة فجاء في حملاته على الشبهات والخرافات يشبه الشدة في التحريم لا نظنها تدوم. هل ندعوه معلماً؟ نعم هو معلم كبير وقد تجاوز في رسالته التعليم. فقد علم اهل نجد دين التوحيد الذي كانوا قد نسوه، ونفخ فيهم فوق ذلك روحاً قومية عظيمة، تلك الروح القومية التي مكنتهم وهم محصورون ببوادي ضمن الرمال في قلب البلاد العربية، من التوسع والاستيلاء، فعلمهم ضمن القوة سيفاً نبوياً، ومن التفوق رمحاً حنفياً، ومن التقشف والصبر والثقة بالنفس بعد الثقة بالله، درعاً من دروع الصحابة. هو ذا الفضل الاكبر للشيخ محمد بن عبد الوهاب. ان دعوته في نتائجها سياسية كما هي ودينية معاً.

وما كانت كذلك ~~...~~ ~~الى هذه الشيعة الزوجية~~ لولا تمسكه في الاكثر الاحايين بمعاني الكتاب الظاهرة اي ~~...~~ الاحاديث بمعانيها الحرفية:

خذ ذلك مثلاً مسئلة من ادى الشهادتين ولم يصل ولم يزكّ. فان الامام الشافعي وابا حنيفة لا يحكمان بكفره، اذا كان لا يجحد الصلاة ~~...~~ وحجتهما في ذلك حديث رواه عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله (صلعم) يقول: خمس كتبهن الله على العباد من اتى بهن كان له عند الله عهدان يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، ان شاء عذبه وان شاء غفر له. اما الامام احمد فيحكم في ذلك ~~فالامام محمد ... فهو كافر باتفاق الائمة ولا فرق في ذلك~~ بين الصلاة وغيرها من اركان الاسلام فليعلم ولما ...

[Left margin:] ~~...~~ عاملوهم وعادوهم ~~...~~ من اركان الاسلام

[Right margin:] هذا امام نجد وجميعهم وهو الصحيح في مذهب احمد انه يقتل حدا لا لكفره كافراً فقد غلط على مذهب احمد

فيحكم بكفره.

ويحتج باحاديث منها: بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك

الصلوة. ومنها: أُمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله

الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلوة ويأتوا الزكوة. فقد جاء

الامام احمد بتفسير يميز في واجب القتل فقال: من جحد الصلوة كفر،

فأن تركها تهاوناً لا جحوداً يُهدَّد فأن ابى ان يصلي وجب قتله.

ولكن رحمة الله اين تذهب.؟ ومن علمك اذا صح الحديث الأول

ان الله لا يشاء ان يغفر لمن الحكم بقتله؟

الاحسن ترك هذه الجملة لانها توهم ان ابن ان الامام احمد ومحمد بن عبد الوهاب يحكمان على تارك الصلاة بعدم الرحمة والمغفرة وهما بريئان من ذلك وانهما ذكرا العفو بآيات الاحاديث

وهناك مسئلة اخرى في الصلوة والعبادة. يقول العالم الوهابي:

من قال: لا اله الا الله ومحمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى

ويسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، فهذا مشرك، كافر حلال

الدم والمال. اما اذا وحّد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ولكنه ترك الصلوة

والزكوة تكاسلاً فقد اختلف العلماء في كفره. ولا عصمة للعلماء الا في

الاجماع. كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله. جاء في الكتاب

فأن تنازعتم في شيء فردوه الى الله. وقال العلماء: الرد الى الله هو الرد الى

كتابه

العود اذن الى الكتاب وما فيه من آيات يلزمها شرح او تفسير وغيرها

ما هي واضحة جلية الا انها انزلت لغرض معلوم في وقت معلوم فمنه

عاد الى التاريخ ولجأ الى مفاتح التفسير، وحب لديه ولدى اتباعه مجال

الفكر، وضاق غالباً مجال اليقين. ومن تمسك بالمعنى الظاهر

كانت

كانت النتيجة عنده وعند اتباعه عكس ما ذكرت. اما اليقين فقد يضيع او يضعف في تعدد الشروح والتفاسير، والعزم يضعف في ضياع اليقين، ونشر المذهب اذا ضعف العزم في رجاله بل انه يستحيل وقد يستحيل.

٥

لم يكن محمد بن عبد الوهاب خشن الطبع قاسي القلب عتيا، بل كان في حياته الخاصة والعامة لطيفاً محسناً، شفوقاً، حليماً. على انه في يقينه شأن كبار المصلحين لم يكن ليهاود او يلين. علّم الناس معرفة الله ومعرفة النبي ومعرفة الدين بالادلة القرآنية والاحاديث النبوية على طريقة الصحابة، خلافاً لعلماء المسلمين في الامصار الذين يعلمون هذه المواضيع الثلاثة على طريقة المتكلمين. وقد ناله من الجهلاء وأدعياء العلم ما نال كل مصلح كبير. لاسيما وقد جاء يردعهم عن عادات الآباء والاسلاف الذين درجوا على حسب البدع والخرافات على انه لم يكفر احداً من هؤلاء بل كان يقول: معاذ الله ان أكفّر من قال: لا اله الا الله. ولكنه في رجوعه الى الكتاب والسنة اصطدم بآيات واحاديث نبهت فيه نعرة الاقدمين فحرض على الاعمال التي تشوهت في الماضي كل دين. على ان الاصلاح، في بادئ امره، لا يكون بغير الهدم ولا يقوم بغير شيء من الارهاب. قد جد الشيخ محمد واجتهد في نفع الناس ولكنه رآهم واكثرهم من البدو لا يفقهون دقيق الكلام ولا يانفون بالبرهان، فقال بالجهاد، خصوصاً والكتاب يقدم السلاح، والسنة تقدم الذخيرة.

(سورة الجن آية ١٩) "وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً"

أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلوة ويأتوا الزكوة (الحديث)

(سورة الزمر آية ٤٥) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

عليهم اذن! فانهم وان قالوا: لا اله الا الله وهم يرجون شفاعة غيره، او يشركون بالشفاعة غيره، انهم لمشركون. "أُمرت ان اقاتل الخ. هو مصدر الشدة، ومبرر القتال. وقد كتب الشيخ محمد الى عبد الله بن سحيم مطوع الرياض يقول:

«الغلو في علي بن ابي طالب مثل الغلو في المسيح. فكل من غالى في نبي او صحابي، او رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول: يا سيدي فلان اغثني، او انا في حسبك، فهذا كافر يستتاب فان تاب والا قتل.»

ومن كتاب اليه ايضاً:

«المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته».

وقد قال النبي: خير القبور الدارسة. الى الشيخ محمد يستشهد اذن بالكتاب والحديث، وبأقوال الصحابة والأئمة الاربعة على قتل الكفار والمشركين. ولكنه في بعض رسائله يشكو ويعتذر، فقد جاء في واحدة منها:

ولا

٢

"ولا يخفاكم ان الذين عادونا في هذا الامر هم الخاصة لا العامة. فكاتبناهم وخاطبناهم بالتي هي احسن وما زادهم ذلك الا نفوراً"

وفي كتاب الى عبد الرحمن السويدي في العراق يقول :—

"اما القتال فلم نقاتل احداً الى اليوم الا دون النفس والحرمة. وهم الذين اتونا في ديارنا ولا ابقوا ممكنا. ولكن قد نقابل بعضهم على سبيل المقابلة. وجزاء سيئة سيئة مثلها"

ان هاهنا شيئاً من الغلبة للطبع الانساني، ولكنها غلبة لا تستمر دائماً، خصوصاً اذا اصطدمت بالنزعات والنعرات، فتقوم الآيات مقام الحسنات، فلا بد من المصلح اذ ذاك غير مشركين حلال الدم والمال، وقبور ذي قباب لا تصلح لغير الهدم. ولكن الاشراك درجات، وفي الآيات معاني ظاهرة او باطنة يتسلح بها من قاوموا الشيخ وضللوه.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. (الآية) (سورة السبا آية ٢٢)

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (الآية) (سورة البقرة آية ٢٥٦)

قال المقاومون: رسول الله مأذون، وبالتالي ملائكته، فتوسع المتطرفون في المسئلة وقالوا: والمقربون كذلك من رسول الله وملائكته، اي الاولياء مأذونون فجرّ ذلك الى الشرك العميم والكفر الذميم.

وهي ذي حجة ابن تيمية وابن عبد الوهاب الكبرى. ليس للملائكة ولا لأحد من المخلوقات سهم واحد في ملك الله، وليس له اعوان تعاونه كما تكون للملوك اعوان.

ولكن - "ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له" (الآية).

اذن هناك شفاعة، وهي تنفع اذا كان المتشفع به مأذونا له. وها هنا اختلف العلماء المفسرون. كيف السبيل الى معرفة من أذن له الله بالشفاعة؟ قد اجاب ابن تيمية على هذا السؤال واحسن التخلص فقال: وفي كل حال الاذن من الله فالامر اذن كله لله تعالى. لا نزال في الدائرة التي لا نهاية لها. انت تردني الى الكتاب وانا اردك الى الله. واذا رددتني الى الله اردك الى كتابه تعالى وسنة رسوله.

اما الدعاء، وهو نوع من التشفع، فقد حلله ابن تيمية في قوله ما معناه: ان كل ما لا يستطيعه الا الله لا يجب ان يطلب الا منه تعالى (1) ولا يجوز ان يقول الانسان لملك او لنبي او لشيخ، سواء كان حيا او ميتا، "اغفر ذنبي او انصرني على عدوي الخ. ومن سأل ذلك فهو من المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصور والتماثيل.

ولكن هناك نوعا من الدعاء يجوز كأن تقول لجيرانك عند ارتحالك عنهم: ادعوا لنا بالخير والسلامة. هذا ما يسميه العلماء اجابة غائب لغائب ثم

---

(1) قد ذكر ابن تيمية الاعراض - امراض الآدميين والبهائم والنصر على الأعداء وغفران الذنوب، وتعلم القرآن، واصلاح القلوب هي كلها من الامور التي لا يجوز ان تطلب من غير الله.

ثم توسعوا فيه فقالوا ان الناس لما اجدبوا سألوا النبي ان يستسقي
لهم فدعا الله لهم فسقوا. وفي الصحيحين ايضاً ان عمر بن الخطاب
استسقى بالعباس فدعا فقال: اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل
الى نبينا فتسقينا. وإنّا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فسُقوا.
هي ذي حجة اصحاب الاولياء. فاذا استجاب الله طلبة النبي و
عم النبي افلا يستجيب كذلك طلبة حمزة وابنته وابنيها والصالحين
من سليليها؟ ولكن ابن تيمية وابن عبد الوهاب يردان عليهم في
قولهما ~~ان الدعاء غير الاستغاثة~~. وقد يكون الدعاء ~~بواسطة شخص~~
~~حي وهو مشروع~~. اما الاستغاثة فهي غالباً بواسطة الاموات.
والفرق بين سؤال الحي وسؤال الميت هو ان الرجل الصالح او النبي لا
~~يعبد في حياته لا يعبده احد في حضوره وهو لا يأذن بذلك~~
□ وقد نهى النبي حتى عن التعظيم.
بل ينهى عنه. ~~وقد نهى النبي عن التعظيم~~. لذلك لا يقبل اهل نجد يد
سلطانهم، ولا يخضعون امامه او يطأطئون له الرأس.
لا يجوز السجود والتعظيم لغير الله. وقد نهى النبي عن الصلاة عند طلوع الشمس
وعند غروبها، فتصلّى صلاة الفجر قبل الشروق وصلوة المغرب بعد الغروب،
ليبعد المسلمين عن العقائد التي كانت شائعة في الجزيرة خصوصاً
في اليمن وفي الاحساء، اي عقائد عبدة الشمس والكواكب المجوس
والصابئين، فلا يسجدون مثلهم للشمس. □ اما زيارة القبور فمشروعة وشائعة
عند الوهابيين، والدعاء للميت بمنزلة الصلوة على جنازته. فاهل نجد
الذين يواظبون على هذه العادة يقولون: سلام عليكم اهل ديار

قوم

[Marginal note, blue ink:]
ان هذا من باب طلب الانسان الحي ما يقدر عليه
فان حقيقة التوسل بالنبي وبعمه هو طلب الدعاء
منهما في حياتهما، وذلك جائز. اما الميت
وان كان في حياته من اكبر الناس فلا يستطيع اثراً

[Marginal note, black ink, struck through:]
~~ان هذا من باب طلب الانسان الحي ما يقدر عليه فان حقيقة توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعمه هو طلب~~
~~الدعاء منهما في حياتهما وذلك جائز وليس بخاص بهما والفرق بين دعاء الحي والميت واضح فان~~
~~الحي حاضر يسمع كلام من يخاطبه ويقدر على جوابه وهذا امر معقول محسوس واما الميت~~
~~فكما قال ربنا والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم~~
~~ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير~~

قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون . يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين . نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم .

هو دعاء جميل . واجل منه جواب النبي لرجل قال له : ماشاء الله وشئت . فقال النبي : " أجعلتني لله نداً . ماشاء الله وحده . " وقد قال ايضاً . " لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ماشاء الله ثم ماشاء محمد . وهذي هي القاعدة التي يجري عليها اليوم اهل نجد فيقولون مثلاً : ماشاء الله ثم ماشاء ابن سعود ، نسأل الله ثم ابن سعود ، لولا الله ثم ابن سعود لهلكنا .

اما التوسل فهو على ثلاث درجات :

الاولى — ان يأتي المرء الى قبر نبي او ولي او من يعتقد فيه انه قبر نبي او رجل صالح ويسأله حاجته في ما لا يقدر عليه الا الله فهذا شرك صريح يجب ان يستتاب صاحبه . فان تاب ، والا قتل .

الثانية — ان يطلب المرء من النبي او الولي او الشيخ الصالح ان يدعو له كما يقول للحي . ادع لي كما كان الصحابة يطلبون من النبي الدعاء . هذا مشروع في الحي لا في الميت من الانبياء والصالحين . دليل ذلك ان الناس في زمن عمر استسقوا بالعباس عم النبي ولم يجيئوا قبر النبي مستغيثين به . وقد قال النبي لا تتخذوا قبري عيداً . وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني (١)

صورة عيد ؟

(١) اقلب

(١) ليس في المذهب الوهابي او الحنبلي ما يمنع المسلم عن الحج او يوجب هدم قبر النبي
ولكن الحنابلة والوهابيين يختلفون عن سواهم من المسلمين في انهم يزورون
القبور للسلام كما قلت والدعاء لا للتوسل والاستغاثة. وقد كان
الصحابة اذا زاروا قبر النبي يسلمون عليه فاذا ارادوا الدعاء ينحرفون
عنه ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده. وكانوا ينهون عن
التمسح بالقبر والتقبيل. قال ابن تيمية. " ليس في الدنيا من الجمادات
ما يشرع تقبيلها الا الحجر الاسود. وقد ثبت في الصحيحين ان عمر رضي الله عنه
قال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول
الله يقبلك ما قبلتك.

الثالثة — ان يقول المرء: اللهم بجاه فلان عندك او ببركة فلان، او بحرمة فلان، اسألك كذا وكذا. هذا شائع بين الناس ولكن لم ينقل عن احد من الصحابة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء. وانهم اذا اجازوا التوسل بحق احد الصالحين او بشفاعته فيجب ان يكون ذلك في حياته وحضوره

هذي هي درجات التوسل الثلاث، ومنها واحده فقط فيها الشرك الصحيح فيحلل ابن تيميه وابن عبد الوهاب قتل صاحبه ان لم يتب.

اما الدرجتان الثانيتان فالذنب فيهما شبيه بالخطيئة العرضيّة عند المسيحيين ولا يجوز قتل من عد توسله منهما. فكيف يجوز اذن قتل المشركين اجمالاً فيهم ولا شك من اصحاب الدرجتين الثانية والثالثه؟ وكيف يمكن الفرق بينهم في الجهاد خصوصاً ساعة التجالد؟ لا اظن ان هذه المسئله خطرت في بال ابن تيميه وابن عبد الوهاب، وهي من الاهميه في مكان. من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس اجمعين

بل خطرت هذه المسئلة في بال اربابها ابن تيميه وابن عبد الوهاب خلافاً لما زعمه وقرراها واوضحاها غاية الايضاح وفرقا بين ما يبيح الدم وما لا من غيرها ومؤلفاتهما ناطقة بذلك كما ترى

ينبغي النظر في هذا الكلام فإن ذاكر يشطب على ما لو قتل منفرداً واما اذا صار في صف المشركين فانه يجوز قتله كما قتل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يوم بدر اعمامهم الذين انزل الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة الى آخر الآيات

تاريخ نجد الحديث

النبذة الثالثة

٣٠ ب - ٣٠ د

٣١ - ٨١

٩/١ ب٣٠

النبذة الثالثه

آل سعود

منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد

١١٥٧ — ١٣٠٩ هـ

١٧٤٤ — ١٨٩١ م

٣٠ج

امراء آل سعود

سعود بن محمد بن مقرن			توفي ١١٤٠ هـ ١٧٢٧ م
محمد بن سعود	تولى الامارة بعداية		توفي ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م
عبد العزيز بن محمد	تولى الامارة	١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م	توفي ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م
سعود بن عبد العزيز	" "	١٢٠٢ هـ ١٧٨٨ م	" ١٢٢٩ هـ " ١٨١٣ م
عبد الله بن سعود	" "	١٢٢٩ هـ ١٨١٣ م	" ١٢٣٤ هـ " ١٨١٨ م

فترة الاستيلاء المصري.

محمد بن مشاري بن معمر
ومشاري بن سعود } تنازعا الامارة نحو ستة عشر شهراً

تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود	" "	١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م	" ١٢٤٦ هـ " ١٨٣٠ م

مشاري بن عبد الله بن حسن بن مشاري بن سعود حكم ٤٠ يوماً

فيصل بن تركي (الدور الأول)	" "	١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م	" ١٢٥٥ هـ " ١٨٣٩ م
خالد بن سعود بن عبد العزيز	" "	١٢٥٥ هـ ١٨٣٩ م	" ١٢٥٧ هـ " ١٨٤١ م
عبد الله بن ثنيان بن سعود	" "	١٢٥٧ هـ ١٨٤١ م	" ١٢٥٨ هـ " ١٨٤٢ م
فيصل بن تركي (الدور الثاني)	" "	١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م	" ١٢٨٢ هـ " ١٨٦٥ م

٣١٠ د

عبدالله وسعود ابنا فيصل تنازعا الامارة

تسع سنوات { ١٢٨٢ هـ = ١٢٩١ هـ
١٨٦٥ م = ١٨٧٤ م

عبدالله بن فيصل { ١٢٩١ هـ = ١٣٠٢ هـ
١٨٧٤ م = ١٨٨٤ م

محمد بن الرشيد ١٣٠٢ هـ = ١٣٠٧
١٨٨٤ م = ١٨٨٩

عبد الرحمن بن فيصل { ١٣٠٧ هـ = ١٣٠٨ هـ
١٨٨٩ م = ١٨٩٠ م

فترة الاستبداد الرشيدي نحو عشر سنوات

الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن { ١٣١٩ هـ -
١٩٠١ م -

آل سعود

الدور الأول

في عهد السلطان احمد الثالث (١١١٥ – ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣ – ١٧٣٠ م) وقبله، ايام كانت بلاد الشام تئن من مظالم الولاة وفظائع الانكشارية، لم يكن للدولة العثمانية اثر يذكر او يشكر في شبه جزيرة العرب. ولكن شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تغبطها عليه جارتاها الشام والعراق. كان الأشراف يحكمون في الحجاز وعسير والسادة العلويون في اليمن. وكان الامراء وشيوخ القبائل كلٌّ في قطره، وفي قبيلته، يحكم مستقلاً عن الامراء الآخرين ومعادياً لهم في اكثر الاحايين.

وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعيب الى قطر والكويت ومن الافلاج الى جبل شمّر، متقطعة الاوصال، مشتتة الاحوال لا صلة لقبيلة باخرى تثمر خيراً او تدوم، ولا بين الحواضر المستقلة بعضها عن بعض صلات ولاء الا نادراً. والحق يقال لم يكن غير السيف فاصلاً واصلاً، ولم يكن غير الغزو سبيلاً الى الاستيلاء، وسبيلاً رجباً الى الرزق والثراء.

اجل قد كان القتل طمعاً بالاستيلاء من الامور المألوفة، وهناك بيت من الشعر طالما سمعت امراء العرب يتمثلون به

بسفك الدما يا جارتي تحقن الدما ~~ليا جارتي بسفك الدما يحقن الدما~~
وبالقتل تنجو كل نفس من القتل

هذا اذا استقام الامر لامير واحد فيحكم في الجميع حكماً ابوياً ركناه المساواة والحكمة

~~هذا به بسفك الدما يا جارتي تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل~~

لست اذكر الكلمة الاولى التي يستقيم فيها البيت فاصلحوه من فضلكم

والحكمة . اما العدل فامراء العرب على الاجمال يعرفونه ويعززونه غالباً في احكامهم . ولكن القتل عندهم لايكون دائماً دون الحرمة والنفس ولايكون دائماً من اجل المساواة والعدل . قد كان القتل على الاجمال الطريق الاقرب والاسهل الى الاستيلاء والسيادة . انا صاحب الرياض مثلاً وانت صاحب الدرعية ، فاما ان اقتلك او اغلبك ثم اجلوك عن البلاد واستولي عليها ، واما ان تفعل انت ذلك فيكون لك حق ما اريده فيك . السابق الى القتل الفائز ./

ولم يكن القسم الجنوبي من نجد الذي يدعى بالعارض (١) ليخرج عن هذه القاعدة . فقد كانت بلدانه في حوزة امراء من بيوت وقبائل شتى يتوالون ويتغازون طمعاً بمصلحة او طمعاً بكسب او دفعاً لمحنة او خطر . هذي هي اليمامه وهي في عزلة عن المنفوحة . وهذي هي المنفوحة وهي تابعة للرياض اليوم وتخصم الرياض غداً . وهذي هي الرياض وهي مستقلة عن الدرعية والدرعية وهي لاتقر بالسيادة لا للعيينة ولا للرياض ، وقس على ذلك . اما المسافة بين اقصى البلدين من طرفي هذه البلدان فلا تتجاوز الخمسة وسبعين ميلاً . /

ومن اولئك الامراء حكام ذلك الزمان مقرن بن مرخان الذي يمت بنسبه الى بكر بن وائل ، فجديلة ، فربيعة (٢) . ومن كبار اجداد مقرن الاولين الامير

---

(١) العارض اي الجبل او ما اعترض في الارض . ومنه عارض اليمامة . قال عمرو بن كلثوم

وأعرضت اليمامة واشمخرت . كأسياف بأيدي مصلتينا

وتسمى بلاد العارض العروض ايضاً والرياض

(٢) كل من انتسب الى بكر بن وائل وهو ينتسب الى ربيعة بن نزار يجتمع مع النبي في نزار بن معد بن عدنان .

الامير مانع الذي لبسط سيادته على الاحساء وقطر والقطيف. هو جد الموانعة

الاسرة المعروفة في نجد، ومؤسس الدرعية. ولكن ملكه الذي

تجاوز حدود نجد لم يدم طويلاً، وملك ابنائه لم يكن ليختلف كثيراً

عن ملك سواهم من الأمراء، فما اشتمل على غير بلدتين او ثلاثة والقرى

التابعة لها. هي حال بني مقرن في طليعة القرن الثاني عشر للهجرة،

فقد كان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن اميراً على الدرعية، وهو على والاه وابن

معمّر امير العيينة وابن دوّاس امير الرياض. وفي عهده

~~...~~ محمد بن عبد الوهاب مجدد

المذهب الحنبلي ورسول التوحيد، فعقد بينهما العهد الذي جاء

ذكره في النبذة السابقة. وقد كان امير الدرعية واخوانه | ١١٥٧هـ ١٧٤٤م

ثنيان ومشاري وفرحان اول من باشروا الجهاد في سبيل الدعوة

الوهابية.

اما اول من قاوم المجاهدين كما سلفت القول فهو دهام بن دوّاس

او دياس صاحب الرياض، وقد حدثت المناوشات الاولى في المنفوحة

التي حمل عليها دهام لان بعض اهلها تمذهبوا بالمذهب الجديد،

~~وقد كان هناك من سبق الى الدخول في المذهب الجديد فحمل عليها دهام~~

فبادر ابن سعود الى الدفاع عنهم وعن بلدتهم ~~عن اهل التوحيد فيها~~. هذي هي فاتحة

الحرب الدينية السياسية بين صاحب الدرعية وصاحب الرياض، ثم بين

صاحب نجد واصحاب الاقطار العربية الاخرى.

انتصر اهل التوحيد انتصاراتهم الاولى

~~وقد كانت انتصارات اهل التوحيد الاولى~~ في البلدان المجاورة

لهم بوادي حنيفة، أي العيينة والجبيلة وحريملة وقراها، ثم استمروا

ثمانين

غازين متقدمين حتى وصلوا شمالاً الى الزلفى وجنوباً الى الخرج. على ان المناوئين في وسط البلاد، في الوشم وسدير، ظلوا يقاومونهم اكثر من عشرين سنة وهم يحالفون اعداءهم الكبار مثل الدواس والعريعر عليهم. وقد كان سعود الاول اذا اخذ بلداً يولّي عليه احد ابنائه ثم احد ابناء البلد المتوحدين كما فعل في العيينة التي كان عثمان بن معمّر متوليا الامارة فيها لصاحب الحا[..] فقد تذبذب عثمان وتردد بين صاحبه وبين الموحدين فقتل في المسجد بالدرعية فولى سعود ابنه مشاري بن معمّر مكانه. وذلك برأيه كما يقول ابن بشر "لا برأي الناس الذين ارادوا انقراض بيت معمّر".

وهذه الخطة التي اتخذها سعود الاول هي خطة الملك عبد العزيز اليوم.

قلت ان اهل الوشم وسدير لم يقبلوا في اول الامر التوحيد. بل ظلوا يقاتلون اهله، ويعيثون في بلدانهم، فيغزونهم على الردة. لولا ذلك لما تمكن ابن دواس من محاربة آل سعود ثلاثين سنة، فكان اذا ضاق في الجنوب دعا يشغلهم بالدسائس في الشمال.

ولم تكن الوقعات في بادئ الامر كبيره. واشتد القتال في وقعة دلقه في قلب الرياض امام القصر فقتل من الفريقين عشرين رجلاً.

ولم تكن الغارات كلها ويلاً وثبورا. شن ابن سعود ورجاله الغارة على دهّام في قصره بالرياض فرموه بالرصاص في عليته وخرجوا سالمين. كانهم خرجوا ~~[..]~~ الى الصيد، وان هي الا نزهة في بعض الاحايين.

ولكنها حرب في تاثيرها بالناس وفي اهم نتائجها، حرب متقطعة طويلة الامد. ~~[..]~~ وكانت الوقعات تزداد شدة والقتل

والقتلى يزدادون عدداً كلما توسعت سيادة ابن سعود. ~~ومع ذلك فلم~~ على انه لم يقتل في مدة ثلاثين سنة غير اربعة الاف من العرب، الف وسبعمئة من الموحدين والفان وثلاثمئة من اعدائهم، اي مئة وثلاثة وثلاثون رجلاً كل سنة. قد لا يخلو حتى هذا العدد من المبالغة، خصوصاً اذا كانت الوقعات او اكثرها مثل التي يصفها ابن بشر في قوله:

"وفي هذه السنة سار المسلمون واميرهم عبد العزيز الى الرياض وجرت وقعة عظيمة على اهل الرياض تسمّى وقعة ام العصافير قتل فيها اربعة من اهل الضلال ولم يقتل من المسلمين غير واحد. ثم انقلب المسلمون الى بلادهم بعد تحصيل مرادهم."

"وقعة عظيمة" قتل فيها "اربعة من اهل الضلال". هذا الذي يحملني على الاعجاب بابن بشر. فهو المؤرخ العربي الوحيد، على ما اظن، الذي لا تصعد ارقامه في عد الجيوش والقتلى الى الالاف، الا في الفتوحات الكبرى التي سيجيء ذكرها.

بعد محمد بن سعود واخوانه الانصار ظهر عبد العزيز بن محمد الذي شرع في عهد ابيه بشن الغارات، فحمل رايات التوحيد الى اقصى الاقطار العربية، وزرع بذور السيادة السعودية في البوادي والحضر. ولكنه على تعدد غزواته واتساع مجال جولاته، لم يكن غير ممهد السبيل لابنه سعود ~~فتوحاته~~ الفاتح الاول الاكبر.

١١٧٨ هـ
١٧٦٤ م

وصل عبد العزيز في غزواته الغربية الجنوبية الى وادي الدواسر، فخرج عليه اهل نجران، فتقهقر الى البلاد

وقد اصطدم الجيشان في حائر سبيع

الى البلاد الحرج فتبعوه ووقف لهم في حائر[1] فكانت الغلبة لاهل

نجران الذين قتلوا اربعمئة من الموحدين . اما الفاجعة الاخرى

في هذه الوقعة فهي ان دهام بن دواس الذي كان قد حالف آل سعود بعد ان

خذلهم ان خانهم فانضم بجيشه الى اهل نجران وقاتل مع الموحدين .

ولما رجع عبد العزيز من هذه الوقعة الكبيرة عزاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب

قائلاً : لا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .

في السنة التالية لوقعة حائر سبيع توفي الامير محمد فبويع

على الامامة ابنه عبد العزيز الذي ظل يغزو الغزوة تلو الاخرى واكثرها

على الرياض حتى تمكن من فتحها بعد خمس سنوات من امامته ، اي في السنة

السابعة والثمانين والمئة والالف ففر ابن الدواس هارباً .

ولم يأت بعد ذلك بحركة تزعج اهل التوحيد او غيرهم من اهل نجد .

مات دهام في الدلم ، على حاشية الربع الخالي المحرقة ، وهو بعد هذه

السنين الطوال يستحق الرحمة . فقد كان ، رحمه الله ، ثابتاً في النضال والضلال ،

ثابتاً في تصلبه وتقلبه .

١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م	بعد فتح الرياض بسنتين اجتاز عبد العزيز برجاله النفود

فوصل الى القصيم ووقف امام بريده فحاصرها ثم دخلها ظافراً . وكان قبل

ذلك قد حارب عدوي التوحيد الاخرين عريعر بن دجين وابنه

سعدون وعربانهم الحسويين والعراقيين ، رغم مدافعهم التركية التي جاؤوا

بها

---

[1] حائر سبيع بلد غير النخيل

بها من الحسا محملة على الجمال. ولم ترضه هذه الانتصارات في بلاده
فخرج يتتبع العريعر فغزا الاحساء التي كانت لبني خالد وعاد منها ظافراً
بغنائم كثيرة .

ولكنه في كل غزواته وفتوحاته لم يقلق الدولة ويزعج المسلمين
الا عندما دخل ابنه سعود كربلاء فحطم رجال الشيعة وقطعة [١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م]
الدائرة في شفاعة الاولياء، فالتحمت رجاله باهلها، وبعد مذبحة هائلة
في الاسواق هدم الموحدون القبة التي قيل انها كانت فوق قبر الحسين،
ونهبوا البلد. ثم زحفوا الى المشهد (النجف) وخارج سورها مدينة اخرى هي مدينة
القبور ذي القباب، فردهم عنها يومئذ بحرها[1].

اما غزوة كربلا التي ضج لها المسلمون خصوصاً الشيعة منهم فقد أدت
الى اغتيال الامام عبد العزيز وهو يصلي العصر في الجامع بالدرعية.
قتله في شهر رجب من هذه السنة [١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م] رجل شيعي جاء من العراق
متنكراً كدرويش. وقيل ان الرجل كردي من اهل العمادية قرب الموصل
ولكن الرواية الاولى هي اقرب الى الصواب.

وكان قبل وفاته بخمس عشرة سنة قد عين ابنه سعوداً خلفاً له، فبايعه
الناس اذ ذاك على الامامة عملاً براي الشيخ محمد عبد الوهاب. ولا عجب
اذا اعتزل عبد العزيز العمل في شيخوخته، وهو الذي قضى اكثر من اربعين سنة
من حياته

---

(١) كان بحر النجف هوراً مثل الاهوار التي تكثر عند ملتقى الرافدين
وحول البصرة. ولم يبق منه اليوم غير ارضه المجوفة الجافة.

من حياته في الغزو والحروب، فلا كلّ ولا ملّ، ولا قعد بعد هزيمة، ولا لها
بعد انتصار. قد كان يزحف برجاله من اقصى البلاد الى اقصاها في
يومي البؤس والنعيم، فيذهب يوماً على حواشي الربع الخالي ويوماً في
القصيم، يوماً في الحساء، ويوماً في السماوة بالعراق، وآخر في وادي
الدواسر، كأنه من العناصر كالمطر او السموم. وقد كان مطراً للموحدين
وسموماً لاعدائهم، يغزو في بعض السنين ست غزوات ويعود بالغنائم
الى الدرعية فيقسمها على السواء بين رجاله.

اما ابنه سعود فكان قد باشر الغزو قبل ان بويع على الامارة والامامة،
فظهرت فيه قوى التوحيد، توحيد الدين وتوحيد السيادة العربية —
بأروع وأتم مظاهرها. هذا بالرغم مما ظهر عليه من الاعداء الاشداء،
وقوة كل واحد الحربية تفوق قوتي العريعر والدواس معاً. كيف لا
وهم من ولاة الدولة العثمانية او حلفائها تعضدهم وتمدهم بالسلاح
والرجال، والذخيرة والمال.

من هؤلاء الاعداء الشريف غالب بن مساعد شريف مكة في ذلك الزمان.
فقد كان على ما يظهر حائراً في بداية امره لا يريد ان يعادي ابن سعود او يواليه.
ولكنه اظهر في الموالاة ميلاً لا يخفى على اللبيب باطنه. فقد كتب الى عبد العزيز ابي
سعود كتاباً يسأله فيه ان يرسل اليه عالماً من علماء نجد ليعرفه بحقيقة ما يدعو
ابن عبد الوهاب اليه. فارسل الامام احد قضاة نجد يحمل كتاباً من الشيخ الى العلماء
الاعلام في بلد الله الحرام. ولكن اولئك العلماء لم يرغبوا في مناظرة القاضي
النجدي، ولا كان واضح الشريف في ما اظهر من حب المسالمة والولاء. وقد

يكون

يكون هو المصانع وهم خدام قصره الحقيقي، فتشمر من ذلك الحين وهذي
هي الحقيقة التي لاريب فيها، عندئذ ساعد العداوة لاهل نجد، اذ
أرسل اخاه الشريف عبد العزيز الجيش من عرب الحجاز، وقد انضم اليه
كثيرون من عربان شمر ومطير وقحطان، فجاؤا يهاجمون الدرعية.
ولكنهم توقفوا في وادي البيّر فحاصروا قصراً من قصوره دون طائل.
ثم جاء الشريف غالب نفسه ينجد اخاه، وعادوا بعد اربعة اشهر الى
الحجاز دون ان يصيبوا مغنماً.

على انه قد كان لهذه الغزوة نتيجة سياسية ظهرت في قيام عرب
شمر ومطير على الموحدين، فضربهم سعود في وقعة العَدْوة(1) ضربة
تشتت شملهم. وغزا بعدئذ جبل شمر فادخل اهله في دين التوحيد.

ومن اعدائه سليمان باشا والي العراق الذي لم يكن في قصده مختالا
فقد سيّر العساكر الى الاحساء لمحاربة اهل نجد فيها، وكان ابن سعود قد احتل
الهفوف والمبرز، فعادت عساكر الدولة مدحورة.

امّا ثويني بن عبد الله الذي كان عاملاً في المنتفق والبصرة، والذي
انهزم مراراً في حملاته على اهل نجد، فلا تخلو من غرابة قصته. عندما
عزله والي بغداد لجأ الى عدوه الامير عبد العزيز في الدرعية فاكرمه وأغدق عليه. ثم
عاد فلجأ الى الوالي سليمان عندما كان يجهز حملة جديدة على آل سعود. جاء
ثويني متنمراً ثم متبجحاً — انا الذي يجمع الاموال، ويقتل الرجال، وينتصر في كل حال!
خُدع

---

(1) من مزارع شمر قرب حائل

خُدع الوالي ثانية وامره على الجيش فجاء بالمدافع الضخمة يحاصر بُرَيدة فحاصرها، وترك قتل عرَيْعر مدافعه وكثير من رجاله تحت اسوارها.

لم تنهزم لسعود راية في غزواته كلها وفتوحاته، ولا حالت دونها اوعار شبه الجزيرة واهوال بواديها. فقد اجتازت جيوشه حتى الحرّة.

قال ابن بشر: "سار بالمسلمين يعتسف من الفيافي السهل والصعاب، ويطوي من اديم الارض كل موحشة يباب، لايسمع فيها بغير اصوات العرج والذباب، يضل فيها القطا، ويحير الخريت في مواردها، [illegible] لايرى بقفرها أنيس، ولايبصر في رجمها اثر العيس، مظماة يحاكي لون اديمها زرقة السماء، مغبرة الافق والارجاء، يحس الساري بها بالجن في مهامه الغمغمة والزمزمة، وبعد انضاء الاعوجيات، وارقال المهريات (١) وسباسب الفلاة تبين له سواد الحرّة."

الحرة! تلك المفازة البركانية وهي في حصاها المسنمة وحجارتها التي كالسياج أكثر اهوالاً مما وصف، وكان في وصفه صادقاً. وكأني بسعود ورجاله يرددون دائماً بيت ابن ثعلبة:

وما تحجبني ليل ولا بلد . ولا تكاءدني عن حاجتي سفر.

رفعوا رايات التوحيد في ماوراء الحرة. وفي جبال شمر وعمان، وشيد سعود قصراً للحامية في البريمة على حدود مسقط الف قدم فوق البحر (٢)، ووصل الى رأس الخيمة على الخليج.

~~(١) [illegible]~~

(٢) قد زار الدكتور زويمر Zwemer بُرَيمة سنة ١٩٠١ فوجد الناس هناك مقيمين على دين التوحيد مع انهم من رعايا صاحب مسقط

(١) المهريات نوع من الابل والمهاري نوع من الابل تُنسب الى مهرة اسم قبيلة.

وزحف الى تربه فاحترب [١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م] والشريف غالب فيها فكسره. ثم بايعه

اهل البلد و"دينوا" (1) فكانت فاتحة الأساة الحجازية التي ختمت بنصر ابن

سعود ثانية في العقد الثاني من القرن العشرين.

قيل ان تربه مفتاح الطائف، والطائف مفتاح مكة، والقول لسعيد

ومن مدهشات التاريخ في ما يعيده من اخباره ما سأقص الان. كان

للشريف غالب وزير من بيت المضايفي اسمه عثمان بن عبد الرحمن (٢) ولم يكن

على ما يظهر مداجياً فوقع بينه وبين الشريف خلاف، فطرده من مكة،

فجاء المضايفي الى ابن سعود يبايعه. ثم جمع له من اهل البادية والحاضرة من

بيشة ورنية وتربه وقراها جيشاً كبيراً لمحاربة الشريف. فزحفت

الجيوش الى الطائف وكان الشريف غالب فيها فخرج منهزماً الى مكة، فتعقباه سعود والمضايفي

بالجنود. وكان وقت الحج فهم الحجاج بمقاتلة الفاتحين ولكنهم تخاذلوا [١٢١٦ هـ / ١٨٠٢ م] وعاد

كثير منهم الى اوطانهم. دخل سعود مكة ظافراً وكان الشريف غالب وعساكره واتباعه

قد رحلوا الى جدة، فاعطى اهلها الامان. وشرع رجاله يهدمون القباب التي

بنيت فوق القبور (٢)

(1) يقول اهل نجد "دَيَّن" اي دخل في الدين

---

(٢) من حسنات امراء العرب الاشراف انهم يحافظون على البيوتات التي تخلص لهم الخدمة. فقد

عرفت واحداً من بيت المضايفي في خدمة الشريف علي ملك الحجاز السابق.

(٢) خذ النسخة الثانية لهذه الصفحة وقد كتبت بعد مئة وعشرين سنة. الشريف خالد

بن لؤي هو نسيب الملك حسين السابق وقد كان بين الاثنين خلاف فاستفحل فاخرج خالد او اخرجه.

خرج على الشريف حسين فجمع العربان من تربه والخرمه ورنيه وقراها وانضم الى الاخوان جيش

ابن سعود في حملتهم على الحجاز، فاكتسحت الجيوش الطائف وقد كان فيها الشريف علي فتقهقر الى

مكة. ثم دخلوا مكة محرمين وقد كان الملك حسين المخلوع وابنه الملك علي والجنود والاتباع قد انسحبوا الى جدة

قد انسحبوا الى جدة .

وقد كتب سعود كتاباً الى السلطان سليم الثالث هذا معناه:

"من سعود الى سليم: اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨ وامّنت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشباه الوثنية وألغيت الضرائب الا ما كان منها حقاً. وثبّتُ القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهره من المجيء بالمحمل والطبول والزمور الى هذا البلد المقدس فان ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته".

بعد فتح مكة بسنتين استولى الوهابيون على المدينة، وكانت الدعوة اثناء ذلك اي دعوة التوحيد ديناً وسياسة تنتشر في عسير واليمن حتى كادت تعم تهامة باسرها. وكان الزعيمان عبد الرحمن ابو نقطة وطامي بن شعيب من اكبر حلفاء سعود هناك. فبايعته اللحية ثم الحديدة وبيت الفقيه. وكانت قد بايعته اشد القبائل بأساً فرجال ألمع في عسير وعرب اليام في نجران.

١٢٢٠هـ
١٨٠٥م

بعد فتح المدينة اتجهت انظار اهل نجد الى الشمال فوصلوا في غزواتهم الى الجوف والبتراء، واجتازوهما الى حوران والكرك، فوقفوا منتصرين عند ابواب الشام وفلسطين. وقد ارسل الامام سعود كتباً الى الولاة هناك يدعوهم فيها الى دين الله. ولكنه في طموحه الى بلاد الشام لم يكن ذلك الرجل الذي دوّخ البلاد العربية كلها فدانت له العرب حتى على حواشي الربع الخالي في نجران وعمان. ومع انه حاول ان يتخذ له انصاراً من اولياء الامر في سورية جرياً على طريقته في الاستيلاء فان منعه الحج ومعاملة رجاله للحجاج افسد الامر عليه

الامر عليه . قال محمد كرد علي في كتابه خطط الشام :

"خرج عبد الله باشا العظم (والي الشام يومئذٍ ١٢٠٠هـ) بالمحمل فحدثت بينه وبين الوهابيين امور عظيمة ، فهلك عسكره وانتهب الحاج" وفي السنة التالية منع الامام سعود الحجاج غير الموحدين من الحج واخرج من مكة من كان فيها من الترك . أضف الى ذلك انهم لم يؤمّنوا الاوروبيين الذين كانوا في جده ، فخرجوا منها سنة دخوله الى مكة ، وكانوا في مجرد عملهم ذلك حجة على حكمه .

اما الدولة العثمانية ، وقد اصبح العدو على ابواب اغنى واجل ولاياتها ، فلم تستطع في فساد احوالها ان تقوم مباشرة بعمل خطير . ولكنها بعد ان كسر الوهابيون الجيوش التي ارسلتها عليهم ولاتها في العراق والشام ادارت بنظرها الى مصر ، فطلبت من محمد علي باشا ان يتولى بنفسه انقاذ الحرمين واخراج اهل النجد من الحجاز .

قد تردد محمد علي في بادئ الامر لا لانه لم يكن يرغب فيه او يستطيعه بل لان المماليك كانوا يومئذ مسيطرين وكان يخشى ان يترك البلاد وشؤونها في ايديهم . اعاد الباب العالي الطلب مراراً وقد هدد الباشا اذا كان لا يمتثل للامر والباشا راغب فيه الا انه كان يتحين الفرص . وقد رأى في الاذعان ثلاث فوائد كبرى لنفسه : الاولى انه يبعد جيشه الالباني الجبر المنظم الكثير التمرد فيتمكن اثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الغربية .

والثانية انه يأخذ من الدولة الأموال التي كان في حاجة اليها بحجة لزومها لنفقات الحرب المقدسة . والثالثة ان هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم

على

٨ على حبه وولائه بصفته خفيذ الحرمين وحميد مناسك الحج.

وفي هذه الاثناء كان الامام سعود يحج ورجاله كل عام ويكسو الكعبة

"بالقيلان [illegible] الفاخر". وكانه تصالح والشريف غالب فاذن له بالعودة

الى مكة، وكان الاتباب بتذاوران ويتبادلان ~~فكان الشريف يزوره في القصر بالبياضية وهو صفة~~ [illegible]

~~ويتبادلان الهدايا. ولكن~~ اما المؤرخ ابن بشر فلا يحسن الظن بالشريف.

في ذلك المهاداة: وقد قال: "واعطاه غالب مثل ذلك خدعة والمؤمن غرّ كريم" هي كلمة لا تخلو من

~~الحق~~ فقد كان الشريف غالب مستمراً في سعيه الخفي لاخراج سعود وجماعته من

الحجاز.

١٢٢٦ هـ
١٨١١ م

في صيف هذه السنة بعد قتل المماليك وانجاز اسطول من السفن

في السويس، لبى محمد علي طلب الباب العالي، فارسل ابنه طوسون، وكان

لايزال في السابعة عشرة من سنه يقود ثمانية الاف من الجنود. جاؤا بحراً

وبراً (١) الى ينبع ومعهم ضباط او روبيون وعدد من الجاز فين المستشرقين الذي

كانوا في عسكر بونابرت. زحف هذا الجيش من ينبع (في شهر اكتوبر من هذا العام بعداته ومدافعه)

وكان اهل النجد قد استعدوا للقائه فخرج ثمانية الاف منهم بقيادة عبدالله

ابن الامام سعود الى مكان يدعى الخيف بوادي الصفرى قرب المدينة.

هناك التحم الجيشان في العشر الاواخر من ذي القعدة، وكانت الغلبة بعد

ثلاثة ايام من القتال الشديد لاهل النجد فانهزم المصريون تاركين وراءهم الخيام

والمدافع والذخيرة والارزاق وعدداً كبيراً قيل خمسة الاف من القتلى والجرحى والشاردين

---

(١) جاء ستة الاف ~~جاؤا~~ بالسفن، و~~كان~~ الفان من الخيالة الترك والعرب جاؤا براً يقودهم ~~ركان~~ طوسون

~~مع~~ [illegible].

من اخوانهم، ما عدا الخيل ~~[illegible]~~ والرواحل. اما العرب فقتل منهم نحو ستمئة، واذا فرضنا المبالغة في العدد بقي فوقعة الصفراء تظل مع ذلك اكبر وقعات الحرب الوهابية حتى ذلك الحين.

تقهقر طوسون بجيشه المنهزم الى البُرَيكة ~~وضرب خيا~~ بالسفن الى ينبع فأرسل ~~١١~~ منها يطلب النجدات.

في هذه السنة، وهي آخر سنين الجد الاول سعود الاولين، حج الامام سعود للمرة السادسة او السابعة وكسا الكعبة على عادته بالقيلان والديباج الاسود. وقد طاف رجاله في اسواق مكة يردعون الناس عن الخبائث وينهون عن المنكر، فمن رأوا منه عملاً مخالفاً للشرع ادبوه في الحال بموجب الاحكام الشرعية. وقد أدّت هذه الشدة الى الرِدّة في بعض البوادي، كما ~~سيظهر في الصفحة التالية~~ سيلي.

قال ابن بشر ان الامام سعوداً ارسل النجدات الى المدينة وامر بتحصينها ثم عاد الى نجد .. ولا نعلم السبب في عودته في مثل تلك الحال وهو يعلم ان طوسون مرابط في ينبع ينتظر النجدات، وان عرب الحجاز يتذبذبون بينه وبين اهل نجد وقد ينقلبون عليهم

١٢٢٧ هـ
١٨١٢ م

جاءت النجدات المصرية في السنة التالية فأعاد طوسون الكرة على المدينة، بعد ان احتل ينبع النخل، فانضم الى جيشه كثيرون من عرب جُهَيْنة وحرب. وكان في المدينة سبعة الاف من اهل نجد فحاصرها المصريون حصاراً شديداً دام ~~الرمل شهرين~~ خمسة وسبعين يوماً. صوبوا على القلعة المدافع وحفروا اليها السراديب التي اشعلوا فيها تحت الاسوار البارود (١) ثم قطعوا

(١) ~~القليب~~

عن

قال احد قواد هذه الحملة، نقله الجبرتي:

~~من مشايخ الجبرتي ان اكبر [illegible] قواد الصليبين~~

" [illegible] وضعهم منه لو [illegible] ابن لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة

ولو يسمح في [illegible] جعلنا صادق العسكرات [illegible]

نسمع بوق [illegible]، ولو تقام به فريضة

معسكرنا، بأذان، اذا دخل الوقت اذن المؤذن

[illegible] بين الاالنصوص (اى الجيوش) واذا جاز وقت الصلوة والحرب

ونظموا صفوفا خلف امام واحد. فتتقدم طائفة للحرب

خائفة اذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف، وعسكرنا بعجوبان [illegible] لانهم لم

وتتأخر الاخرى للصلاة

يسمعوا به فضلا عن رؤيته".

عن المدينة المياه وجاءت الامراض تساعدهم على المرابطين المحاصرين . بل
قام الاهالي ايضاً على النجديين فامسوا بين نارين ، والوباء يساعد في حصادهم .
مات منهم اربعة الاف ، قاله ابن بشر ، قبل ان انفتحت ابواب المدينة للمصريين .

١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م	استبشر الشريف غالب بهذا النصر فباشر السعي جدياً في

تحقيق المقاصد التي كان يبطنها . فبدت في هذه السنة قرون الفتنة وانتشرت
الردة في مكة والطائف ، فدخلهما طوسون بمساعدة الشريف بدون قتال .
ولكن النكبات التي توالت على النجديين لم تبق حتى على عدوهم الشريف .
ولم ينج المصريون من احوالها الطاغية الجارفة . ففقدوا منهم مئات
بالوباء الذي كان حليفهم على اعدائهم ، وقد قدرت خسائرهم كلها في
الحملتين بثمانية الاف من الرجال . ثم جاء محمد علي نفسه بنجدات جديدة .
جاء يسرع بانجاز العمل الذي باشره ابنه وخسر فيه هذه الخسارة الجسيمة
فوصل الى جده في ٣٠ شعبان (٢١ آب) من هذه السنة ، فاستقبله فيها
الشريف غالب ثم رافقه الى مكة المكرمة .

وعندما استقر محمد علي هناك جازى الشريف في ان قبض عليه
وعلى اولاده عملاً بامر شاهاني كما ادعى وارسلهم اسرى الى مصر . ثم حجز
جميع ما كان في خزائنه (خزائن الشريف) من الذهب والفضة
واخرج حرمه من قصر جياد ونصب مكانه ابن اخيه الشريف يحيى بن سرور .
اما آل سعود فلم يكونوا ادخر حظاً لدى القضاء من بيت الشريف غالب .
(وقيل في ٨)
فبعد اربعة اشهر من جلائهم ، اي في جمادى الاولى من السنة التاسعة
والعشرين والمئتين والالف (٢ ايار ١٨١٤) مات في الدرعية الامام سعود
؟

وهو

مات ؟ لا

وهو في الثامنة والستين من عمره. ~~وكانت وفاته~~ بالحمى كما قال هو نخارث نقلاً عن احد المستشرقين الذين كانوا يوفدون في مكة، بل بعلة في ~~اسفل بطنه اضنته~~ المثانة ضنا مثل حصر البول. وقيل بعلة اخرى هي نكبة اهل نجد في الحجاز التي عجلت ولاشك في اجله. وقد كانت ولايته احدى عشرة سنة اذا حسبناها من يوم وفاة والده عبد العزيز، وسبع وعشرين سنة اذا تحدث من يوم بويع بالامارة في السنة الثانية والمئتين والالف.

هو يدعى بالكبير، وقد خص بتلك السجايا او باكثرها التي توصل رجل التاريخ لهذا اللقب. فقد كان في عظمته متواضعاً، وفي حكمته ورعاً، وفي عدله حليماً، وفي سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء. أضف الى ذلك ذكاء لم يكن عاديا، ولم يقف به عند حد السياسة. فقد كان مولعاً بالعلم، محباً للعلماء و~~للطلبة~~ للطلاب، فلم يستنكف من عقد مجالس القراءة والتدريس في قصره وتحت مشارفته عندما يكون في العاصمة. بل كان هو يتولى التعليم في بعض الاحايين فيدهش حتى العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه. وبالرغم من تعدد مشاغله ومشاكل ملكه البعيد الارجاء كان يزور مجالس التدريس العامة، فيطلع على اعمال الطلبة ويجزي منهم الاذكياء المجتهدين.

وقد كان سعود كبيراً في اخلاقه مثله في اعماله. لا ينكر الفضل على ذويه وان كانوا من اعاديه، ولا يقف في احسانه ومكارمه عند مشتهيات النفس واهوائها. مثال ذلك معاملته للشريف غالب على ما كان يبطنه الشريف من الكيد والغل. فلو كان فاتح مكة غير سعود، لو كان محمد علي لما اذن للشريف بالعودة اليها بعد ان فرّ منها هارباً الى جده.

اما

اما في غزواته وفتوحاته فلم يكن ليخرج عن القاعدة ان الحرب خدعة.

وللعرب في ذلك اساليب تقترن فيها السذاجة بالدهاء. فقد كان سعود اذا اراد

ان يغزو الى جهة الشمال يظهر انه يريد الجنوب او الغرب والعكس بالعكس.

وعندما نزل الرقيعة في غزوة الاحساء امر رجاله ان يوقد كل واحد منهم

ناراً وان يطلقوا البنادق عند طلوع الشمس ليرهبوا اهلها.

فلما طلعت الشمس فعلوا ذلك دفعة واحدة فارتجت الارض واظلمت

السماء واسقط كثير من الحوامل في الاحساء. هذه الطريقة في الحرب

طريقة الارهاب والترويع مألوفة عند العرب خصوصاً عند اهل نجد.

ولا حاجة لذكر البسالة في سعود الكبير والاقدام وعلو الهمة والمرام.

فان في فتوحاته الشاهد الاكبر على ذلك. اما حكمه فقد كان له مزيتان كبيرتان

رائعتان هما الامن والعدل، الامن وكان اساسه العقاب الشديد السريع بموجب

الاحكام الشرعية، والعدل وكان اساسه الامن المساواة وعدم المحاباة. بيد انه

لم يكن على شيء من الادارة، ولا كان النظام، ماعدا بعض قواعد اساسية

تتعلق بالجيش معلوماً. فلم يكن ليربط النواحي القصية بعضها ببعض غير

كلمة الامير، ولم يكن ليحفظها وثيقة العرى غير صولته. فاذا ذهبت

الصولة ذهب الملك.

=

آل سعود

الدور الثاني : الفوضى

لم يكن طوسون الشاب قوي البنية او الارادة، ولا كان على شيء
من الحزم كبير، فأعيته حرب الحجاز وأضنته، ولولا عرب الحجاز لما عقد
له النصر في حملته الثانية على عرب نجد. بيد انه كان مثل ابيه واخيه ابراهيم
متساهلاً في دينه، عاملاً بتساهله في امور شتى سياسية وغير سياسية.
وكان يميل خصوصاً الى الاوروبيين ويحب الانتفاع بعلومهم واختراعاتهم.
قد اشرت الى اولئك الحجازيين منهم المستنزجين الذين كانوا في الجيش
المصري. ومن اغرب امورهم، مما يدل على التساهل الذي ذكرت، ان احدهم
وهو اسكتلندي اسمه توماس كيث تولى برهة حكم المدينة المنورة.

على انه لم يكن بينهم اديب عالم يدوّن حوادث تلك الايام، او ينقل
الينا شيئاً من معلوماته هناك. ولا اظن ان احداً منهم دخل مكة ولو
خلسة عندما استولى طوسون عليها، لانه لم تكن لهم العقلية العلمية التي تحمل
صاحبها على التكشف والاستطلاع، الا واحداً ذكره هوغارث وقال ان ما كتب
يُعد تافهاً.

على ان هناك ثلاثة لم يجيئوا الحجاز محاربين، ولا جاؤوا مع المصريين،
وهم جديرون بالذكر لانهم من العلماء المستشرقين المستعربين الذين دخلوا مكة يوم كان
الوهابيون مستولين عليها، فرأوهم من كثب وكتبوا عنهم بدون
تحيز.

تحيز او تحامل.

اول هؤلاء رجل اسباني اسمه "دومنغو باديا إي لبليخ"(١) انتحل اسماً

ونسباً وديناً عربياً وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز. هو علي بك

العباسي "الامير المكرم" و"العالم المحترم" و"الحاج الورع الموقر"، رسول بونابرت الى

البلاد العربية. جاء حاجاً [illegible]، مستكشفاً، فنزل في جدة [اجل، قد] تحف به الخدم

والحشم، وسار الى مكة المكرمة محرماً، [illegible] [قبل ان جاءوها منذ]

[فدخلها في ٢٢ يناير سنة ١٨٠٧ (١٤ ذي القعدة ١٢٢١)] [الوهابيين]

اهل نجد [illegible] وقد شاهد جموع [illegible] وحج معهم واعتمر(٢). سمع

العج وحضر الثج، وكان في ظاهره عربياً قحاً، ومسلماً حقاً، لا تعيبه كلمة يقولها

ولا تخونه فعلة او اشارة، فما شك [illegible] احد في دينه او في نسبه.

والعباسي هذا كان دائماً يحمل في حقائبه ادوات الرصد والمساحة، ← اقلب

فاستخدمها في مكة وجوارها دون ان يعترضه احد من الناس. بل كان محترماً

من الجميع. وقد حاز فوق ذلك شرفاً لم يحرزه سواه من المستشرقين ولا يحوزه

الا الافراد القلائل من المسلمين. الا وهو شرف كناسة الكعبة. ولكنه على ما يظهر لم يفلح

حتى النهاية في تنكره. فعندما قصد الى المدينة زائراً صده عنها الوهابيون

فعاد الى ينبع ومنها الى مصر فباريس حيث اجتمع بنابليون وعين في حاشية

اخيه يوسف بونابرت. وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨ فأنفض

من دمشق ليرحل رحلة ثانية في البلاد العربية، ولكنه وهو لا يزال في اول الطريق

أصيب بداء الزحير فمات في المزاريب. اذا صرفنا النظر عن مهمة علي بك

السياسية

---

(١) Domingo Badia y Leblich (١٧٦٦ - ١٨١٨)

(٢) كان الامير سعود والبقية [illegible] يتقدمون الحجاج [illegible] وهم الى عرفات، [illegible] زهاء الف، ومعهم على ...

في العقد الرابع من العمر وانه

وقد اجتمع علي بك بالشريف غالب فقال انه

[illegible] رآه لاول مرة في مجلسه وهو يدخنه

على جهله ذو حصافة ودهاء. [illegible] خوفاً منه

النرجيلة التي [illegible] [illegible] كانت محجوبة

الوهابيين. فلم ير الشيخ الوهابي غير النربيش الذي كان يتصل

من خرق في الحائط بالنرجيلة ووراءه في الغرفة المجاورة للمجلس.

السياسية فانه كعالم صادق الرواية . وهو اول اوربي شاهد الوهابيين في مكة وقضى وإياهم مناسك الحج . وصفهم وهم يتزاحمون عند الحجر الاسود ويتسابقون اليه (الجزء الاول صفحة ٧٢) فقال انهم متهذبون ولكنهم

"لا يسلبون الا اذا كان حلالاً في مذهبهم اي مال العدو والكفار . وهم اذا اشتروا شيئاً يدفعون ثمنه كما انهم يدفعون اجرة من يخدمونهم، فلا احد دون ومنهم الفقراء الذين كانوا يدفعوا رسوم زمزم والكعبة منه البارود والرصاص الذي كان معهم ولا يسرقون وبما انهم يطيعون اميرهم طاعة عمياء فهم يحتملون من اجله كل شدة ساكتين صابرين . ويسيرون اذا امرهم الى اقصى اطراف الارض"

من فضل الوهابيين في فتحهم الحجاز انهم لفتوا نظر العالم الى البلاد العربية ونبهوا العلماء المستشرقين الى تكشف احوالها، فجازفوا بحياتهم وقادوا اكثر من واحد بها طلباً للعلم .

ومن هؤلاء العالم الالماني أُلْرِيخ زِتْسِن (١) الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق . فجاء سورية سنة ١٨٠٥ واقام في الشرق الادنى بضع سنين، وكتب في رحلته كتاباً باللغة الالمانية قيماً (٢) ثم سافر الى الحجاز في زي درويش ومع الحاج مرة فدخل مكة حاجاً سنة ١٨١٠ وارتحل منها الى اليمن فزار صنعاء ونزل الى عدن وقد كان زتسن في نيته ان يجتاز شبه الجزيرة الى الخليج ليسوح في الشرق الاوسط ، فعاد من عدن ووجهته الجبال . ولكن عند مروره بتعز اعترضه بعض الناس وقد اريبهم امره فقتلوه . لم يكن هذا المستعرب الالماني زتسن على ما يظهر مثل علي بك العباسي بارعاً

---

(١) ULRICH JASPAR SEETZEN (١٧٦٧ - ١٨١١)

(٢) قد نشرت مجلة الكلية في سنتها العاشرة خمس مقالات للاستاذ هارولد نلسن عن زتسن ورحلته في سورية ولبنان .

بالتنكر ~~ولكن~~ ولكنه كان اوفر علماً وادق قصداً. هو الذي قابل الامام سعوداً في مكة

وكان قد ترتيب بقيافته واسلامه. ولكن كبير الوهابيين بل كبير العرب

يومئذ لم يمانع العالم الافرنجي في تجواله. قال هو عنه:

"كان زيتسن نباتياً مشهوراً في اوربة، وهو من العلماء الافاضل، له نظرات

ثاقبة صائبة في الاشياء وفي الناس." وان من يقرأ ما كتبه عن بعض الحكام

في سورية، وبعض النباتات والصناعات في لبنان، ليتأكد ذلك ويأسف

جداً لان كتبه ومذكراته فقدت بعد موته في اليمن، فحرمنا رأيه في الوهابيين

واميرهم الاكبر سعود.

ولكن المستشرق الثالث الذي ساح في الحجاز في العقد الثاني من القرن

التاسع عشر كان اوفر حظاً من زيتسن الالماني والاسباني. هو الحاج عبد الله

اي السويسري المشهور بركهارت(1) صديق محمد علي وصديق العرب والاسلام.

١٥ تموز سنة ١٨١٤، هناك

جاء الحجاز عندما كان محمد علي ~~باشا~~، فنزل في جدة في ~~الربيع الاول~~

في ١٩ رمضان ١٢٢٠ (٢٤ اغسطس ١٨١٤م)

وسار منها الى الطائف، ثم دخل مكة المكرمة بعد استئذان صديقه العظيم، وهو

(واقام في مكة ثلاثة اشهر، ثم سافر الى المدينة قاصد الزيارة في ابريل سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك)

يومئذ سيد الحرمين، فحج مع من حجوا ذلك العام ~~وادى الزيارة~~

ولكنه ~~علمت~~ مرض في المدينة فعاد

~~ثم~~ الى القاهرة فتوفاه الله ~~...~~ وهو في ربيع الشباب.

في ربيع ~~...~~ ذلك العام، ودفن فيها.

كان بركهارت في قيافته وفي اسلامه محترماً موقراً. وقد قال يصف نعمة

تمتع فيها. "ما شعرت في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنت اشعر بها وانا في مكة."

ولكنه لم يجهل ويتجاهل ما اشتهر به المكيون والترك يومئذ من قبيح العادات

~~...~~

---

(1) Johann L. ~~...~~ Burckhardt. (١٧٨٤-١٨١٧)

فذكرها كلها وقال في كلامه على الوهابيين انهم حقاً جاءوا يطهرون ~~[illegible]~~ والتقاليد

الحجاز، ثم قال:

"وما الوهابية اذا جئنا نصفها غير الاسلام في طهارته الاولى. واذا

ما جئنا نبين الفرق بين الوهابيين وبين الترك مثلاً فما لنا الان نعدد

الخبائث التي اشتهر ~~بها~~ هؤلاء بها".

هاك شهادة الاجانب وهي شهادة العلماء المنزهين عن الاغراض

الخصوصية ~~الوهابية~~ والمذهبية. "جاء الوهابيون يطهرون الحجاز".

وجاء الترك او بالحرى المصريون ينقذون الحرمين من المطهّرين فانقذوهما

وجلس محمد علي في مكة يصدر الاوامر الى جيشه في (١٢٢٩هـ / ١٨١٣م)

المدينة ليزحف الى نجد، وجيشه في الطائف ليحتل ~~[illegible]~~ تربة، وجيشه الثالث

ليذهب براً وبحراً الى القنفذة فيؤدب عرب عسير المتديّنين، انصار ابن

سعود وزعيمهم ابن شعيب

كان المصريون قد احتلوا القنفذة في آذار من هذه السنة

(١٢٣٠هـ / ١٨١٤م) فاغار العرب عليهم بعد شهرين بقيادة طامي بن شعيب فهزموهم

فلاذ من سلم منهم بالسفن. وقد غنم العرب المدافع والذخيرة كلها مع عدد كبير

من الخيل والجمال.

اما الحملة الاولى ~~التي سيرها محمد علي~~ التي سيرها محمد علي على تربة في صيف هذا

العام بقيادة ابنه طوسون فعادت مدحورة تشكو الحر والجوع.

والحملة الثانية عادت تحدث عن بدوية باسلة كانت في طليعة العربان

تحرضهم على القتال.(1) فجهز محمد علي حملة ثالثة مؤلفة من الفين جندي والفين

من عرب

(1) هي غالية امرأة احد مشايخ سبيع وقد هاجمت بنفسها جيوش مصطفى بن خان قائد الحملة فهزمتهم شر هزيمة.

اقرارها صدق هذه الكلمة جاء الوهابيون يطهرون الحجاز من الشرك والبدع والمعاصي والظلم امتثالاً لقوله تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وجاء الترك او بالحرى المصريون ينقذون المطهرين [illegible] فيستيقنوا انهم اناس يتطهرون ان [illegible]

من عرب الحجاز خمسمئة خيال، كما جاء في البلاغ الذي ارسله بعدئذ الى اهل المدينة، الشبيه ببلاغات الدولة العلية في الحرب العظمى، وراح هو بنفسه يقود تلك الحملة، فالتقى في بسل بين الطائف ~~طربة~~ وتربة بجيش عظيم قدره باربعين الف، من اهل نجد وعسير يقودهم فيصل بن سعود وحليفه [١٢٣١ هـ ١٨١٥ م] ~~حليفهم~~ طامي بن شعيب. التحم الجيشان هناك وكان القتال شديداً من الفجر حتى المساء، فخسر اهل نجد ستمئة من رجالهم ~~[illegible]~~ ~~[illegible]~~ وتشتت الباقون.

ثم واصل المصريون الزحف الى تربة فاحتلوها بدون قتال.

وقد جاء في البلاغ الذي اشرت اليه المؤرخ في ٧ صفر ان قد غنم الجيش الظافر في وقعة بسل خمسة الاف خيمة وخمسة الاف من الجمال عدا الارزاق الكثيرة.

استراح محمد علي قليلاً في تربة ثم زحف الى رنيه وفيها عرب سبيع فسلمت. وبعد اربعة ايام، وهو يواصل السير جنوباً بالشرق، وصل الى بيشة(١) مفتاح اليمن الشرقي وفيها بنو سالم فقاوموا يوماً وسلموا.

ومن بيشة مشى الظافر الى جبال عسير، ولكن تلك الانتصارات نهكت الجيش وأفقرته لانه لم يكن في البلدان التي اكتسحها شيء يذكر من الغنائم، فقل الزاد، وكثرت المشقات، وكانت الخسائر خصوصاً في ~~الركائب~~ الرواحل كبيرة. قيل انه مات مئة رأس من الخيل في يوم واحد. ترجل محمد علي ومشى مع الماشين

وهو

---

(١) ~~طربة~~ تربة هي على مسافة ثمانين ميلاً من الطائف شرقاً بجنوب. وبيشة تبعد نحو مئة ميل من ~~طربة~~ تربة.

وهو يعدهم بالغنائم العظيمة في اليمن. فلما صاروا في جبال زهران بعد خمسة عشر يوماً من السير التقوا بطامي الذي انهزم في وقعة بيشل ومعه بضعة آلاف من العربان. فنازلهم محمد علي وكان في الجولة الاولى مهزوماً ثم عاد الكرة عليهم فأخرجهم من معاقلهم في الجبال ودحرهم في القتال فشتت شملهم. ومن غنائم هذه الوقعة ان ابن شعيب أُخذ اسيراً فأُرسل الى مصر ومنها الى الاستانة فضرب عنقه بعد ان شُهّر في الاسواق هناك.

بعد هذا الفوز في عسير عاد محمد علي الى مكة فتوفى فيها احد رجاله ثم سافر الى المدينة ليؤدي الزيارة، وهو كان قد حج في العام السابق، وليطلع على احوال الحجاز الشمالي. بيد انه لم يلبث طويلاً في المدينة لان الاخبار التي كانت قد جاءته انبأت بفتنة في القاهرة وبفرار نبوليون من جزيرة إلبا. فسافر فجأة في شهر يونيو سنة ١٨١٥ وهو يبغي صون مملكته من الاخطار الداخلية والخارجية.

من حسنات محمد علي في الحجاز انه وزع كثيراً من المال والارزاق على المحتاجين، وخفض رسوم الجمرك في جده، وأبطل الضرائب التي كان قد ضربها الشريف غالب، وفتك بالاشقياء وعاقب بشدة كل من تعدى على الاجانب. بيد انه لم يحسن عملاً في ابقاء جنوده في عسير، اذ بعد سفره اغار عرب ألمع وغامد وزهران الكرة على اولئك الجنود في تهامة وفي الجبال فدحروهم دحرات متعددة وردوهم خاسرين براً الى الطائف وبحراً الى جده.

اما طوسون فكان قد جهز حملته على نجد وزحف الى الرس (١) فاحتلها بالاتفاق مع اهلها، فجاء عبدالله بن سعود بجيشه يخرجه منها. ولكن عبدالله مثل طوسون من اولئك القواد الذين يضعفون ما عندهم من قوة بما ينقصهم

(١) اقلب

من زعامة

(١) الكَرَش والقرى التابعة لها على مسافة ثنتين وسبعين ميلاً شرقاً بشمال
من المدينة وخمسة وثلاثين ميلاً غرباً بجنوب من عنيزه.

من زعامة واقدام. وتقف الضعيفان في التصميم وقفة المتنازل الراغب في الصلح المتظاهر لعكس رغبته، فتناوشت الجنود وتفرقت وتحاذرت وتقاعست، حتى سئم اولو العزم في الجانبين الحالة وقام منهم من طالب بالشيء يتشفع بتردد القائدين وتذبذبهما. قال اهل نجد لعبد الله: اخرج الى طوسون او اخرج عليه، اي صالحه او حاربه. وقد توفق الفريقان الى عقد صلح فيه تعهد المصريون ان يخرجوا من نجد وتعهد النجديون ان يأذنوا بالحج ويؤمنوا السبل ويرجعوا ما سلب من الحجرة النبوية.

عاد طوسون بالجيش الى المدينة ومعه وفد من اهل نجد يحمل معاهدة الصلح الى محمد علي ليصدق عليها. وكان محمد علي قد رحل فتبعه الوفد الى مصر: قال ابن بشر "وصل الوفد الى مصر ورجع منها وانتظم الصلح". والقول مبتسر. فقد تعاكست الاقدار على الجميع في هذه السنة فلا خدمت اهل [١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م] نجد ولا خدمت خصمهم. أمر محمد علي ابنه طوسون بالرجوع الى بلاده فرجع ومات بعد ١٠ أشهر في الاسكندرية، قيل من مرض غشاه في الحجاز وقيل من استرساله في اللذات. وقد توفي في هذه السنة ايضا عدو النجديين الآخر الشريف غالب وهو في منفاه بسالونيك. ولكن صاحب مصر نقض عهد الصلح الذي كان قد اقره(٢) وجهز ابنه ابراهيم بحملة جديدة على اهل نجد

---

(٢) في المسئلة روايتان: قال ابن بشر ان فريقاً من عرب الرس المعادين لعبد الله سافر الى مصر ليقابل محمد علي وليفسد على وفد الصلح عمله فافلح سعيه. وقال المؤرخ الافرنسي ان محمد علي لم يعد الوفد بالصلح ولا استقبله من بوجه باش. بل اغلظ له الكلام وختمه بقوله: "سأسيّر عليكم ابني ابراهيم فيهدم دياركم حتى لا يبقى فيها حجر على حجر".

كان ابراهيم باشا صلب العود، شديد البطش ثابتاً في عزمه ومقاصده. ولكنه لم يكن ماهراً في تعبئة الجنود، ولا كان باهراً في المفاجئات الحربية. انما كان جلداً لدوداً بطيء منشأ الفكر، سريع منشأ الهوى، ارادته من حديد وقلبه مثل ارادته.

جاء وهو في السابعة والعشرين من سنه ليطوي بساط الجزيرة ليصل الى قلبها الملتهب فيطفئ النار فيه ويفرغ منه الحياة. جاء بجيش لا يتجاوز الاربعة الالاف وفيهم الالباني والمغربي والسوداني وقد اضاف اليهم في مروره بالصعيد الفين من الفلاحين للاشغال والخدمة.

وكان معه مهندس افرنسي(١) واربعة اطباء وصيادلة ايطاليين(٢) ومدافع ضخمة ترمي القنابر التي روّعت العرب(٣). سافر ابراهيم من القاهرة في النيل في ١٠ شوال ١٢٣١ (٣ ايلول ١٨١٦) الى قنا ومنها براً الى القصير على شاطئ البحر الاحمر، ومنها بحراً الى ينبع، فوصلها في ٨ ذي القعدة (٣٠ ايلول). وسار منها دون مقاومة الى المدينة فزار قبر النبي وقبور الصحابة ثم نقل جيشه الى الحناكية(٤) وعسكر هناك.

اتمام

---

(١) Vaissière

(٢) Sacio, Todeschini, Gentili, Scoto.

(٣) منها مدافع افرنسية محفورة عليها هذه الكلمات: صنعت في باريس في السنة الثانية من عهد الجمهورية — الحرية، الاخاء، المساواة. قال ابن بشر يصف مدافع ابراهيم: كل مدفع يثور (يطلق) مرتين مرة في بطنه ومرة تثور رصاصة وسط الجدار بعدما تثبت فيه فتهدمه.

(٤) الحناكية ماء معروف وهي على مسافة تسعين ميلاً ~~شمالاً الشرقي~~ شرقي من المدينة.

مشرقا
ص٢

اقام ابراهيم في الحناكية ولبث يراقب كالصياد طرائده، فكان يُغير تارة على البدو وطوراً ينتظر اغارتهم عليه، فينصب لهم شراكاً من الوعود الخلابة التي كانت تتخللها الهدايا وشيءٌ من الذهب الوهاج.

ولم يكن على ما يظهر في ما يستوجب العجلة. اقام ستة اشهر على ذا الاهمال وهو ينتظر العربان ليخونوا بعضهم بعضاً وينضموا الى جيشه، ولذلك كان. جاءت حرب[1] وجاءت عتيبة وجاءت مطير[2] — والله يا ابراهيم حنّا (نحن) ما نبي (لا نبغي) اهل نجد. حنا رجالك وحياة الله. وكانوا يقولون مثل هذا القول لابن سعود.

بعد ان اقام ستة اشهر في الحناكية يستغوي العربان ويجندهم زحف في شتاء السنة التالية (٥ ربيع ثاني ١٢٣٢ = ٢٢ فبراير ١٨١٧) الى نجد فوصل الى الرس التي سلمت قبلاً لاخيه طوسون وابت ان تسلم لابراهيم فكانت عليه حرباً عواناً. اخسرته في الهجمات الاولى ثمانمئة من رجاله فبعث يطلب النجدات من المدينة. وكان اهل الرس رجال ونساء يدافعون من وراء الاسوار عن بلادهم فيردون على قنابر المصريين برصاص البنادق ويبطلون فعل الغامهم بالغام اخرى يحفرونها اليها.

جاءت النجدات من المدينة فشدد على البلد الحصار وضاعف ضرب اسوارها.

ولم يكن ابراهيم ليغض برجاله. فبعد ذبحات هائلة في الجيشين طلب عبدالله بن سعود محمد ابن مزروع الصلح فطلب ابراهيم البلد من اميرها فقال الامير: تعالَ خذها.

---

(١) "غانم بن مضيان شيخ من مشايخ حرب انضم الى جيش ابراهيم بالف من رجاله وهم ممونون [illegible] مسلحون" — ادوار غوان

(٢) كانت مطير يومئذ مثلها اليوم بزعامة ابن الدويش

[illegible]

استُئنف القتال فركب ابراهيم على رأس الف خيال وهجم على اهل الرّس فذبحوا

منهم اربعمئة وكانوا يقطعون رؤوس الزعماء ويرفعونها على الرماح ليراها النجديون

اما عبدالله فاستمر يفاوض بالصلح فتمسك ابراهيم بشروطه وهي ان يقدم

اهل الرّس الفي رأس من الخيل والفين من الجمال ومؤونة الجيش لستة اشهر

ورهينتين من اولاد عبدالله استُئنف القتال [illegible]

واستمر القتال فيه اهل الرس

~~الحصار وكانت قد بلغت خسارة ابراهيم بحسب رواية المؤرخ الافرنسي ثلاثة~~

~~الاف بين قتيل [illegible]~~ فتنازل اذ ذاك عن شروطه الا شرطاً واحداً

هو ان يضع المحاصرون سلاحهم ويقفون على الحياد فلا يعاونون ابن سعود

ولا يتعرضون للجيوش المصرية فقبلوا بذلك ورفع الحصار الذي استمر ثلاثة

اشهر وسبعة عشر يوماً والذي خسر فيه ابراهيم الاثنتي الف والمئة من عسكره النظامي

بعدان سلمت الرّس زحف ابراهيم الى عنيزه ، وكان عبدالله قد لجأ اليها

فصالحه اهلها والى المرابطون في القصر الا القتال فاطلقت عليهم المدافع ليلة ونهاراً

فسلموا .

ثم حمل على بريده وكان عبدالله قد رحل من عنيزة اليها فرحل اذ ذاك

منها الى الدرعية . راح يستنفر اهل نجد البوادي والحضر ليجتمعوا في العاصمة

للدفاع عن الوطن .

لم يدم حصار بريده الا ثلاثة ايام . وبعدان سلمت المدينة عاد ابراهيم

بجيشه الى المُذنب اخر بلد في جنوب القصيم ، فبادره اهلها الى التسليم . ثم

دخل الوشم ذلك السهل الكائن بين وادي السر ووادي حنيفة فوصل الى شقرا

اهم بلدانه — أم بلدان الوشم — في ١٨ صفر ١٢٣٣هـ ١٢٣٢ ٢٨ دسمبر ١٨١٧م من هذا

العام وحاصرها ستة ايام فدافع اهلها عنها ما استطاعوا ثم سلموا ، وهو

جديرة

جدير بالذكر ان ابراهيم امس في شقراء مستشفيا للجرحى بعناية اثنين من الاطباء والصيادلة الافرنج الذين كانوا معه. ولكن هذه الرحمة لم تشمل غير جرحى جيشه. فقد كان يأمر بقتل الاسرى. وقد قطع جنوده في شقراء آذان القتلى النجدية وارسلها مع رسول الى والده بمصر.

استمر الجيش الظافر زاحفاً في الوشم فسلمت بقية بلدانه بدون قتال. ولكن عندما وصل الى ضُرما[1] اصطدم هناك بأهلها وهم الف ومئتين فكانوا عليه مثل اهل الرس. نصب الباشا مدافعه وضرب البلد فهدم سورها واباحها لجنوده، فدخلوها فاتكين مكتسحين ولم ينج حتى الحريم من بربرية بل من شهوة الجيوش الهائجة. وقد ذبحوا ثمانمئة في البيوت والاسواق حرباً وخدعة. "كان الروم[2] يأتون اهل البيت او العصابة المجتمعة فيقولون الامان فيأخذون سلاحهم ويقتلونهم" ففر الباقون هاربين.

بعد ان نهب الروم ضرما وهتكوا عرض حريمها وذبحوا ثلثين من اهلها دمروها تدميراً وساروا الى وادي حنيفة. فمروا بالجبيلة ثم بالعيينة ثم اشرفوا في اواخر جمادي الاولى على الدرعية. وكان عبدالله بن سعود واخوه فيصل وغيرهما من آل سعود قد خرجوا بجموع من اهل المدينة للدفاع فتوزعوا في الوادي واقاموا فيه وفي منعطفاته المتاريس.

كانت الدرعية قائمة على الاكام الى جانبي الوادي[3] ولا يتمكن منها الجيش القادم من الوشم او من سدير الا اذا اجتاز واديها وصعد الى الربوة الشرقية فنصب مدافعه هناك. لذلك خرج اهل المدينة يصدون الصين وينا جزونهم ليمنعوهم من احراز ذاك المركز الخطير.

كان

---

(1) يلفظها اهل نجد أضْرُما. (2) كان العرب يدعون المصريين والترك بالروم

(3) راجع "(ملوك العرب)" الفصل الرابع عشر من القسم الخامس (الجزء الثاني)

كان جيش ابراهيم باشا عندما وصل الى الدرعيه وباشر حصارها في ٢٩ جمادي الاولى ١٢٣٣ (٦ ابريل ١٨١٨) مؤلفاً من اربعة الاف من المصريين و والالبانيين، وخمسمئة من المغاربة، وبضعة الاف من عربان مطير وحرب وعتيبه وبني خالد، ، ونحو الفين من العمال والخدم وعشرة الاف من الجمال حاملة المؤن والذخيرة.

استمر الحصار خمسة اشهر وبضعة ايام فتعددت فيه الوقعات واشتدت الحملات، وكانت الغلبة غالباً لآل سعود. ولكن النجدات كانت ترد متوالية على ابراهيم. فتجيئه الجنود والذخيرة من مصر، والارزاق من البصرة والمدينة، والغنم والسمن من القصيم. ومع ذلك فقد نكب في ١٦ شعبان (٢١ يونيو) نكبة كادت تقضي عليه. فبعد ان انهزم يوماً في وقعة قتل فيها مئة وستون من رجاله هبت ريح السموم فحملت شرارة من نار احدى الخيم الى مستودع الذخيرة، فاشتعل البارود، وتفجرت القنابل، واتلف كل ما كان هناك. بل امتدت النيران الى مستودع القمح ايضاً فاستحال في ذلك اليوم رماداً.

قال ابراهيم للطبيب الافرنسي: خسرنا كل شيء ما عدا شجاعتنا وسيوفنا. والحق يقال ان لولا الشجاعة والعزم والثبات، تلك السجايا الكبيرة فيه، لعاد من الدرعية بعد تلك الفاجعة مدحوراً.

ولكنه ثبت في مراكزه واستعاض عن القتال بالمناوشة والمخادعة الى ان جاءته نجدات من المدينة وذخيرة ومؤونة من القصيم. وكان قد شاع ان اباه جهز محافظ الاسكندرية بحملة ليرسله الى نجد، وقد ولاه القيادة العامة، فأثار هذا الخبر غضب ابراهيم وحميته فحمل على اهل الدرعيه في متاريسهم

وفي

وفي معاقلهم، وفي ابراجهم، وفي بيوتهم، حملات شعواء استخدمت فيها المدافع الضخمة والقبوس النارية، والبنادق والسيوف. ثم احاطت جيوشه بالمدينة واحتلت حياً من احيائها فبدأت تتزعزع عزيمة المدافعين، فطلب فريقاً منهم الصلح، فابى ابراهيم الا ان يسلم عبدالله بن سعود.

رفض آل سعود. ونهضوا نهضة واحدة بشتا نفوذ القتال فحملوا على الجنود المحتلين قسماً من المدينة فذبحوا عدداً كبيراً منهم واخرجوا الباقين. ذلك تمهيداً لصلح شريف. ولكن ابراهيم ادرك قصد العدو فأفرغ كل مالديه من المدفعية على الدرعية وقصورها ومعاقلها حتى وعلى المسجد الجامع فيها.

وكان ذلك في آخر الشهر الخامس من الحصار فاضطرمت في المدينة النيران، بعدان هلك كثيرون من اهلها (١) وتفرق كثيرون من المجاهدين، فخرج عبدالله بن سعود الى ابراهيم باشا في اليوم الثامن من ذي القعدة (٩ سبتمبر) فاستقبله ابراهيم في خيمته، فقال عبدالله: "ما غلبتنا جنودك، انما الله اراد ذلنا". ١٢٣٤هـ ١٨١٨م

وتسلمت الدرعية، وأرسل عبدالله الى المدينة، ومعه بعض رجاله وعبيده بمحافظة اربعمئة من الجنود، ومنها الى القاهرة، فوصلها في ١٨ محرم ١٢٣٤ (١٧ نوفمبر ١٨١٨م) ودخل بين يدي محمد علي فسأله رأيه بابنه ابراهيم فقال: هو عمل واجبه، ونحن عملنا واجبنا، وما شاء الله كان.

لم يلبث عبدالله غير يومين في القاهرة، ثم أرسل اميراً الى الاستانة ومعه كاتب سره ورجل

---

(١) قيل انه قتل من اهل نجد في حصار الدرعية الف وخمسمئة ومن المصريين اكثر من تسعة الاف

ورجل آخر من رجاله كرهاً ان يفارقاه. وهناك عند وصولهم في اليوم الثالث طوفوا بالاسواق ونفذ فيهم الحكم بالاعدام.

اما ابراهيم فعندما دخل الدرعية امر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلاً شنيعاً. فمنهم من طرحوا مقيدين تحت سنابك الخيل ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم ارباً ارباً "طيّرها" او صالهم في الفضاء" قال ابن بشر: وكان الشيخ العلامة القاضي احمد بن رشيد الحنبلي صاحب المدينة في الدرعية عند عبد الله فامر الباشا بضربه وتعذيبه وقلع جميع اسنانه فقلعت." وقال المؤرخ الاجنبي "سام الشيخين احمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد عذاباً شديداً ولكنه ندم بعد ذلك على استرساله في غضبه

خاتمة

ولم تكن هذه المظالم والفظائع التي ارتكبها الظافر تأديباً وانتقاماً. قيل ان محمد علي هو الذي امر بتدمير الدرعية — ولو سئل محمد علي ليقال ان جاءه الامر من الاستانة. فقد طالما تذرع الاب والابن بالاوامر الشاهانية في تنكيلهم بالعرب. على ان هذا الامر يشين صاحبه ايا كان. ولا فضل للظافر في تنفيذه ولا مجد ولا فائدة. الا ما الفائدة بعد كسرة اهل نجد من تدمير عاصمتهم؟ قد امر ابراهيم باخراج من تبقى في الدرعية من اهلها وكان قد اجلى الى مصر فريقاً كبيراً من آل سعود وآل الشيخ[1] ثم بتدميرها فدمرها عساكره قصورها واشعلوا النار في دورها وقطعوا النخيل في بساتينها. ثم كذلك فعلوا في البلدان الاخرى التي اكتسحوها اي في العارض وفي الخرج، هدموا الحصون والقصور في الوشم وفي القصيم.

(1) قيل اربعمئة ومعهم اربعة من ابناء سعود الكبير اخوان عبد الله [illegible] فهد [illegible] وهشام [illegible] وسعد وخالد

[illegible] اربعة [illegible] الآخرون اي فيصل وابراهيم [illegible] فقتلوا في الحرب.

قال هوغارث: لم يكن يطمع محمد علي بضم البلاد العربية الى ملكه، لذلك لم يحسن معاملة اهلها، وجل ما ابتغاه ان يظلوا كما كانوا قبل ظهور المذهب الوهابي نهب الشقاق والفوضى.

هي الحالة التي كانوا فيها. عندما انسحب ابراهيم باشا بجنوده من نجد في فصل الصيف سنة ١٨١٩م بعد ان اقام سبعة اشهر في الدرعية، فضربت الفوضى اطنابها في البلاد، وجاءت عساكر الترك تحل محل العساكر المصرية، وكانت ضغثاً على ابالة. قال ابن بشر: كان الناس يهجرون بيوتهم، فيهيمون على وجوههم في البراري فراراً من التسخير والارهاق والقتل والتعذيب فاختل في البلاد نظام الجماعة وشاعت المحرمات فصرت لا ترى من ينهى عن منكر او يأمر بمعروف.

وفي هذه الآونة قام رجل من بيت معمر هو محمد بن مشاري يحاول الاستبداد على قسم من البلاد، فافلح بادئ ذي بدء في سعيه. دانت له الوشم والعارض وسدير، ولكنه لتردده وتزعزع عزمه لم يحكم سنة كاملة. بيد انه لم يكن الوحيد في تلك الايام الطالب السيادة من اي وجه كان.

عندما وصل عسكر الترك الى عنيزه بقيادة رجل يدعى عبوش اغا كتب اليه ابن معمر يقول انه طائع للسلطان وانه القى القبض على ابناء سعود الخ. فاقره عبوش في مركزه.

كان ابراهيم باشا كما سلفت القول قد اجلى آل سعود الى مصر. ولكن مشاري بن سعود الكبير عاد منها هارباً، وتركي بن عبدالله بن محمد كان قد لاذ بالخرج عند تسليم الدرعية. فلما عاد مشاري يطالب بالامارة قاومه ابن معمر وتمكن

من القبض

من القبض عليه ثم سلمه الى الترك فقتلوه . وكان تركي قد عاد من الخرج فنازع

ابن معمر الامارة وحمل عليه ثم قتله انتقاماً لمشاري . وفي ذلك اليوم وكان قد جاء وفود

اهل سدير والمحمل يبايعون مشاري ، فبايعوه في الصباح ثم بايعوا تركي بعد الظهر

٥ ١٢٣٦
١٨٢٠ م

وفي هذه المبايعة ينتقل الحكم من سليلة عبد العزيز بن محمد الى

سليلة عبد الله اخي عبد العزيز . ويستمر فيها الى اليوم . اما الامام تركي لما انتقلت في تلك

الدوحة بيت آل سعود : بيد انه لم يستطع في مدة امارته ، التي استمرت

عشر سنوات ، ان يعيد الى هذا البيت سالف مجده ، والى ذلك الحكم تلك الصولة التي

كانت لابن عمه سعود الكبير . ولا اظن ان سعوداً نفسه كان يستطيع ذلك

بعد ان توالت على نجد النكبات ، وانتشرت بين اهله الردات ، ففسدت

اخلاق الناس ، وتلاشت فيهم القوى المعنوية والروحية .

ومع ذلك فقد استطاع الامام تركي ان يستعين بما تبقى من شتات

الفضيلة في قوم مغلوب ليحفظ السيادة السعودية في زمن الزعازع والفتن ،

بل في زمن كانت عساكر الروم (الترك) محتلة قسماً كبيراً من البلاد .

ولكنه مات على انه مات شهيداً ، فقد قتله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن الذي يمت

بنسبة الى الثالث من ابناء سعود الاول . قتله طمعاً بالامارة ، ولكنه لم يتمتع بها اكثر

من اربعين يوماً . ثم قام فيصل بن تركي بثأر لابيه ، فهجم رجاله على

القصر بالرياض ، وادركوا مشاري فيه فقتلوه .

آل سعود

الدور الثالث : الحروب الاهلية

ان في قتل مشاري قاتل الامام تركي منشأ إمارة بيت الرشيد في حائل، فالحادث اذن جدير بالاسهاب. يوم قُتل الامام كان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى، فلما جاء يثأر لابيه ودنا من الرياض خرج اليه وفد من المدينة يطلب منه ألا يأذن بالدخول اليها لغير اهلها من الجنود، لانه اذا هجم عليها النجديون من غير الرياض قد يقاومهم الاهالي ليمنعوهم من احتلالها، فيحدث قتال في المدينة، فتتولد المحنة محنة اخرى اشدّ منها.

وكان مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن الرشيد طرده من حائل امراؤها يومئذ آل علي فلاذ بآل سعود، فلما همّ الجنود ابناء الرياض بالدخول الى المدينة استفزت الحمية عبدالله فاستأذن فيصلاً بان يكون معهم فاذن له، فدخلوا الرياض بدون قتال لان اهلها كانوا من حزب تركي، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري (هو قصر ~~السلطان~~ الملك اليوم وقصر دهام بن دواس سابقاً) ~~وكان~~ اما عبدالله بن الرشيد فقد سبق المهاجمين الى "مفتول" (برج) من مفاتيل القصر، فرأى فيه رجلاً اسمه سويّد، كان اميراً في جلاجل بسدير، وكان قد جاء يسلم على الامام تركي دون ان يعلم بما حل به، فرحب به مشاري وانزله ذاك البرج في القصر.

قال عبدالله يخاطب سويّد: وما دخلك انت بآل سعود. فاجابه

سويّد

سويد: اني مغصوب. فقال عبدالله: اذا جئتك بالامان من فيصل ارمي لنا حبلاً لنصعد الى القصر؟ فقال سويد: اني من رجال تركي وساساعدكم على شرط ان يعطيني فيصل الامان ويرضى نخل الداهنة[1].

توافق الرجلان ورمى سويد بحبل لابن الرشيد فصعد الى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل، فتصادموا ورجال مشاري وتجالدوا فجرح عبدالله في يده جرحاً بليغاً شوهها، ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وجاءوا بمشاري ومن معه فقتلوهم.

سُر فيصل خصوصاً لشجاعة عبدالله بن الرشيد. وعندما رأى جرحه قال له: لك مني ما تريد. فقال عبدالله: اطلب منك ان تأمرني في حائل وان تكون الامارة لي ولعائلتي بعدي. فاجاب فيصل طلبه، فكان عبدالله هذا مؤسس امارة بيت الرشيد. وسنعود الى ذكره وذكرها في فصل آخر.

تقسم عهد فيصل الى دورين، الاول يبتدئ في توليه الامارة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م بعد قتل ابيه، وهو دور الاضطرابات والفتن، وينتهي بعد تسع سنين في تسليمه الى القائد خورشيد باشا. وكان قد عاد من مصر خالد بن سعود، احد الذين اجلاهم ابراهيم باشا، وهو حائز على ثقة محمد علي ومحبوب من المصريين. بل جاء خالد مع خورشيد ليساعده في الاستيلاء على النجد والقضاء على فيصل. فعندما قرب الجيش من الرياض رحل فيصل الى الدلم في بلاد الخرج لانه لخلاف كان بينه وبين اهل الرياض لم يرَ من الحكمة ان يحاصَر فيها.

كان

(١) الداهنة هجرة من هجر الروقة وهم فخذ من عتيبة

كان اهل الدلم اصدقاء لفيصل مخلصين فلجأ اليهم، فتعقبه
خورشيد بجيشه وحاصره هناك. قد ثبت فيصل اربعين يوماً في الدفاع ولكنه
عندما اشتد الحصار ضغطاً على اهل الدلم ظهر في مظهر من كرم الاخلاق
يندر مثله في المتحاربين، واجل قد عرض على خورشيد ان يسلم نفسه بشرط ان يعفو
القائد عن الاهالي ويؤمنهم على ارواحهم واموالهم.
قبل خورشيد، فسلم فيصل في ٢٢ رمضان من هذه السنة (١٠ ديسمبر) ما كان معه من عتاد الحرب الى اهل الخرج،
ثم سلم نفسه الى القائد، فبرّ بوعده انه عفا عن الاهالي، فلم يصب احد منهم بسوء.
وقد احسن معاملة فيصل فاستصحبه الى مصر، وولى مكانه خالد بن سعود. ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م
وخالد هذا هو اخو عبدالله من جارية حبشية. كان متوقد الذهن، رقيق
الشعور، مسترسلاً في اللهو والملذات. نشأ في دار محمد علي في مصر، وجاء بالحكم في
نجد حكماً مصرياً، فنفر النجديون منه وعدوه اجنبياً، ثم بعد ان قاوموه سنتين
اجمعوا على خلعه فخلعوه، ثم تولى الامارة بعده عبدالله بن ثنيان بن ابراهيم (١٢٥٧هـ / ١٨٤٢م)
بن ثنيان بن سعود وكان مستبداً عادلاً، ولكنه ارهق الناس بالضرائب فلم يصبروا على
حكمه اكثر من سنة. ولكنهم لم يخلعوه كما فعلوا بسلفه خالد، فقد صدف ان فيصلاً،
الذي اطلقه محمد علي من السجن في هذه السنة ليعيده حاكماً الى نجد، وصل الى القصيم يوماً
كان عبدالله بن ثنيان محاصراً عنيزة، فدعاه للطاعة فاجابه عبدالله انه لم يحكم نجداً الا
بالنيابة عنه. وكانت خدعة منه يتوسل بها الى القبض على خصمه.

سار فيصل مخدوعاً الى عنيزة. ولكن القدر والاه. فقبل ان يدخل المدينة جاءه رجل يعلمه
بنية ابن ثنيان. فأخذ للامر اهبته. ودخل برجاله ليلاً معلنين الحكم لفيصل. فصحت عنيزة لهذه
المفاجأة وخذل اهلها ابن ثنيان ففر هارباً الى الرياض. فتعقبه فيصل وحاصره عدة ايام ثم

صفح

صفح عنه واعطاه الامانه. خرج ابن ثنيان من القصر شاكراً حامداً، ولكنه بعيد ذلك

اصيب بمرض اودى بحياته.

استقام الامر لفيصل فبايعه اهل نجد وتمتعوا في عهده الذي استمر

في الدور الثاني اربع وعشرين سنة. (١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م) بالنعم الجمة.

حكم فيصل حكماً عربياً سعودياً، مثل ابيه وعمه عبد العزيز بن سعود، فاقام العدل

وعزز الامنة، واعاد الى نجد شيئاً من السيرة السابقة للجد. بل الى ما وراء نجد، فقد بسط سيادته على القطر

الاكبر من شبه الجزيرة، فدانت له الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير

والجبل والقصيم. ودانت له حباً لا كرهاً.

ولكن الدولة العلية، او بالحرى الحكومة المصرية، لم تهمل امره كل الاهمال.

وبعد ان تكبدت الخسائر الفادحة في حملاتها السابقة على اهل نجد، رأت من

الاوفق والاسلم ان تسير قواتها على يدين لابن سعود في عسير. وما كانت

تهامة باسوغ لقمة من نجد. قد سيّر عباس الاول في هذه السنة [illegible] عشرة الاف جندي الى

(١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م)

جبال عسير، فالتحموا والعربان هناك بقيادة عائض بن مرعي رئيس آل عائض، فانهزموا شر هزيمة،

وتقهقر من سلم منهم الى تهامة. كانت الغلبة في هذه الحرب لآل عائض وبالتالي

للامام فيصل، وكان فيصل يتحاشى ما استطاع سفك الدماء. عندما حاصرت

جنوده بريده كانت خطته العسكرية ان يمدد الحصار فيحمل الاهالي على التسليم

بدون قتال. وقد استنجد اهل القصيم يومئذ بالامير طلال بن الرشيد فلم ينجدهم

خوفاً من ابن سعود، واستنجدوا بامير مكة فابى كذلك، واستنجدوا حتى بمصر فنفضت

مصر يدها منهم. مما يدل على ان فيصلاً كان عزيز الجانب رهيباً.

وكان

فقد جمع في سياسته بين الشدة واللين، فكان

وكان محبوباً ولا غرو، كريم الاخلاق، سمحاً حليماً، قوي الارادة

محباً للعلماء، رؤوفاً بالناس، محسناً اليهم، حريصاً على صلاحهم ومصالحهم.

جاء پلغراف (١) نجداً في عهده فساح في الجبل والقصيم، ونزل من بريده

١٢٧٨هـ
١٨٦٢م

الى العارض عن طريق سدير، فاقام في الرياض وضواحيها خمسين يوماً ثم رحل

الى الاحساء ومنها الى الخليج. وكان پلغراف شديد اللهجة في انتقاده الوهابية

والوهابيين، بل كان متحاملاً. وقد جاء البلاد العربية من

قبل نابوليون الثالث، كما جاء قبله بخمسين سنة باديا الاسباني (علي بك) من

قبل نابوليون الاول، وللاثنين غرض سياسي يتقدم الغرض العلمي.

مستكشفاً مستخبراً.

بيد ان پلغراف على ما كان من الشدة والنعرة في انتقاده اهل نجد المتعصبين

(وهو الانكليزي اليهودي اليسوعي (٢) الشاهد (٢) قال يصف حكم الامام فيصل:

"ان القوافل تجتاز القصيم وسدير والوشم ومقاطعات نجد الاخرى آمنة بفضل

الحكم الوهابي، شر البدو وتعدياتهم، وتسير التجار والحجاج والفلاحون

في البلاد بأمن وسلام".

ولكن عهد فيصل السعيد لم يكن اطول عمراً من عمره. فبعد وفاته في

---

(١) William Gifford Palgrave (١٨٢٦-١٨٨٨م)

(٢) ولد پلغراف عبرانياً - اسم اسرته كوهن - فصار بعدئذ مسيحياً ثم اباً يسوعياً

ثم سياسياً ملحداً. وكان في سورية مع الاباء اليسوعيين يدعى الاب ميخائيل.

اما رفيقه في رحلته وترجمانه في البلاد العربية فهو الذي ارتقى بعدئذ

الى السدة البطريركية الكاثوليكية وكان مشهوراً.

فصار البطريرك بطرس الجريجيري

١٢٨٢هـ
١٨٦٥م

٢١ رجب (١١ ديسمبر) من هذه السنة، تنازع انجاله الملك كما ستري واضاعوه. أنجاله، وهم عبدالله ومحمد وسعود وعبدالرحمن مثلوا الدور الاخير المحزن من رواية آل سعود الملأى بانواع الحوادث التاريخية.

بعد ان نهك الترك والمصريون اهل نجد بحملاتهم المتعددة، وبددوا صفوف وحدتهم القومية والدينية، عادت الى الوجود نكأ الجراح تلك العداوات القديمة لآل سعود اي عداوات القبائل. فانتقضت قحطان، وعصت العجمان، وتمردت شمر، وتقلبت مطير، وتذبذبت عتيبة، و مال بنو مرّة، وتنمّر بنو خالد. ناهيك بالاخوة وابناء العم من البيت نفسه وتقدّم بعضهم على بعض يتنازعون السيادة فكانوا في حروبهم معنماً لهذه القبائل النازعة الى الغزو والمسترزقة منه.

قامت القبائل توالي هذا الامير وتنادي الاخر اخاه او ابن عمه طمعاً بكسب او تشفياً لغليل، او حباً بالسيادة يحققونها في انفسهم. وكان عبدالله تدخل على العجمان لتعديهم على الحجاج فكسرهم في وقعتين قرب الكويت، فرحلوا شمالاً وتحالفوا ورؤساء المنتفق على اهل نجد.

ثم اجلى عبدالله بعض العجمان الى الوادي الدواسر. فلما قام سعود ينازع اخاه الامارة بعد موت ابيهما، لجأ الى ابن عائض في ابها فرده خائباً لان آل عائض في تلك الايام كانوا موالين لآل سعود. فعاد سعود بن فيصل من ابها الى نجران وكان العجمان هناك، فاجتمعوا حوله ينصرونه على اخيه، وانضم اليهم عدد كبير من الدواسر وبني مرّة. هذه هي بداية الحرب السعودية

التي

التي اشتركت فيها قبائل نجد، فكانت يوماً لهم ويوماً عليهم — وكانت نتائجها في الحالين على آل سعود. هي الحرب الاهلية التي استمرت منقطعة اكثر من ثلاثين سنة، فاستثمرتها الدولة العثمانية، وكانت في النهاية المغنم الاكبر لامراء بيت الرشيد.

ولكن ابن الرشيد كان لايزال في بداية الحرب يدين لابن سعود. وعندما خرج عبد الله الى وادي الدواسر غازياً سار معه الامير متعب بن الرشيد الذي قتل بعد تلك الغزوة، فتولى اخوه بندر الامارة بعده واقره فيها الامير عبد الله.

وكان محمد بن فيصل مع اخيه عبد الله على اخيه سعود، فاختربوا في وقعة المعتلا فجرح سعود وانهزم، ثم سار، بعد ان داوى جروحه عند اهل مرة، [illegible] الى عُمان يستنجد [illegible] صاحبها [illegible] فلم ينجده. [illegible]
وراح منه عمان الى [illegible] البحرين فلباه شيخها. ثم حالف العجمان في الاحساء واعاد الكرة على اخويه محمد وعبد الله، فالتحمت جنود الاخوة عند ماء يسمى جودة، وكانت الغلبة لسعود.

١٢٨٨ هـ
١٨٧١ م

قال ابراهيم بن عيسى: "والسبب في ذلك ان بعض جنود محمد وهم سبيع خانوه وانقلبوا على اصحابهم ينهبونهم". قد قتل اربعمئة من جنود الفريقين في وقعة الجودة، وأُسر محمد فاعتقل في القطيف.

ثم دعا سعود اهل الحسا للمبايعة فجاؤوه على عين جودة وبايعوه [illegible].

بعد هذه الوقعة كتب عبد الله الى والي بغداد يومئذ مدحت باشا يطلب منه المساعدة. وكان مدحت يجهز حملة على الحسا تمهيداً لاحتلال نجد، فجاء الطلب في وقته ومحله. فتولى مدحت نفسه قيادة تلك الحملة التي انضم اليها عدد كبير من عربان الكويت فجاء قسم منها براً وذلك في العقير والقسم الآخر

زحف

هذه هي الرسالة التي اذكر ان جلالة عبد الله املى على ورقة الاستاذ الريحاني لا كنها لا اعلمه فيها ان عبد الله الفقله برئ، من هذه اذ انه لم يكاتب السلطان ولكن الورقة ضاعت ولم اسأل جلالة الملك مرة ثانية و اخبر الاستاذ [illegible]

(٧٣)

بعد وقعة الجودة احتل مدحت باشا والي بغداد يومئذ الحساء، وذلك بمساعدة عربان الكويت الذين جاءوا بحرًا الى العقير وبرًا الى القطيف بقيادة الشيخ مبارك الصباح، ~~زحف برًا بقيادة الشيخ مبارك الصباح~~. وفي احتلال الحسا في هذه السنة قطع مدحت الصلة بين نجد وعمان، ووسّع ثلمة العداء بين سعود واخويه،

فاطلق محمداً من سجنه في القطيف، ووعد عبدالله بان يعينه ~~قائمقام ولاية نجد~~ "قائمقام ولاية نجد". ولكن عبدالله خشي الخديعة — وقيل ان مدحت كان ينوي القبض عليه — ففرّ هاربًا الى الرياض فاستقبله اهلها مهللين مرحبين.

ولكن سروره لم يدم طويلاً. فقد زحف سعود في السنة نفسها أي سنة ١٢٨٨هـ، الى الرياض، فدخلها ظافراً ونهب رجاله المدينة، ثم كتب الى رؤساء البلدان ان يقدموا اليه للمبايعة فجاؤا يبايعون. اما عبدالله فكان قد جمع بوادي قحطان وانسحب الى وادي حنيفة، فتعقبه سعود بجيش من آل مرة، والعجمان، وسبيع، والسهول، والدواسر. وبعد وقعة في البرّه انهزم عبدالله ~~[illegible]~~ وعاد الى الحسا.

قد كانت هذه السنة (١٨٧١م) ~~[illegible]~~ والتي تليها سنتي قحط في نجد، فجاءت المجاعة بنجد الحرب على اهله، نعم، قد توالت النكبات وتعددت، فمن لم يمت بالسيف مات جوعاً. وكان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الاباعر ويدقونها، بل كانوا يدقون حتى العظام ويأكلون مسحوقها.

لم يصف الجو والحال هذه حتى لسعود، فقد قام اهل رياض عليه في هذه ~~[illegible]~~ الآونة فأخرجوه بعد ان أمّنوه على حياته من المدينة، ثم تولى الحكم فيها عمه عبدالله بن تركي.

رحل سعود الى الدلم بالخرج ومنها الى الاحساء يستنهض العجمان وآل مرة على الترك، فاجتمع حوله جيش من تلك البوادي وهجموا على الحسا، فخرج الترك

وهزم

اليه في الجويرة وبادروه القتال فهزموه. لم يكن الفشل ليثني هذا السعودي عن عزمه، فقد عاد يقطع الدهناء الى الافلاج، وحمل على اخيه الامام وابناء عمه هناك، فانتصر في وقعة الدلم التي أُسر فيها عبد الله بن تركي الذي مات بعد ايام قليلة في السجن. وفرّ منها محمد بن فيصل هارباً.

استمر النصر بعد ذلك حليفاً لسعود، فحارب اهل ضرما وهزمهم، ثم اهل حريملاء فادخلهم في (١٢٩٠هـ ١٨٧٣م) طاعته، ثم اعاد الكرة على الرياض، وكان اخوه عبد الله قد عاد اليها، فخرج واهلها عليه، فانحصر بواقي الجزعة وكان ذو حزم دونه، ارتحل بعد ذلك عبد الله ومعه بعض خدامه الى ناحية الكويت، فاقام على ماء الصبيحية هناك عند بادية قحطان. ودخل سعود الرياض ثم امر رؤساء البلدان ثانية ان يقدموا اليه ويبايعوه ففعلوا.

سنة واحدة استقام الامر فيها لسعود بن فيصل فتنفس الصعداء، وقال للحرب استريحي. ولكن ابن الامام فيصل الرابع وهو عبد الرحمن قام يخطب ودها فبادرت اليه. وكان قد نهض بحلف من العجمان وقال مرة يريد اخراج الترك من الحسا، فهجم عليهم هناك وكاد يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن السعدون من العراق فكسرت العجمان وشتت شملهم. عاد عبد الرحمن الى الرياض (١٢٩١هـ ١٨٧٤م) فالفى سعوداً في القصر مريضاً، وقد توفي في هذه السنة، فتولى الامارة بعده، وكان اخواه عبد الله ومحمد اذ ذاك مع بادية عتيبة.

جاء محمد بجيش من عتيبة يحارب عبد الرحمن وقد حشد جيشاً من اهل الرياض والخرج وبوادي العجمان ومطير. فتصادموا في غرضا ثم تصالحوا. وكان ابناء سعود مع عبد الرحمن في هذه الوقعة، ثم انقلبوا عليه، فراح - فراح يقصد اخاه الاكبر عبد الله وهو يومئذ في بادية عتيبة، فاكرهه وعاد وإياه الى الرياض لمحاربة ابناء اخيهما

اخيهما سعود. علما انه لم يدركوهم في المدينة لانهم كانوا قد انتجعوا منها
وارتحلوا الى الخرج فاقاموا هناك.

صفا الجو لعبد الله، او بالحري صفا الجو في بيت انجال الامام فيصل،
فكان الاخوان محمد وعبد الرحمن مطيعين لاخيهما الامام. ولكن ابناء سعود ظلوا
عاصين متمردين. وهناك غيوم اخرى اخذت تتلبد في الافق الشمالي.

حدثني جلالة الملك عبد العزيز قال: "لم يستقم الامر لعبد الله لثلاثة
اسباب: اولاً — وجود ابناء اخيه في الخرج يحرضون القبائل عليه.
ثانياً — مناصرته لآل عليان امراء القصيم السابقين على اعدائهم آل مهنا
الامراء الحاكمين في ذلك الحين. وكان هذا جهلاً من عبد الله لانه في وقت
ضعفه ليس من الحكمة ان يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في
القصيم. ثالثاً — ظهور محمد بن الرشيد الطامح الجامح الجد. فقد تحالف مع
آل ابي الخيل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يداً واحدة على ابن سعود."

النزاع الذي اشار اليه جلالة الملك يتشعب الشرح. ورأس
هذا النزاع بريدة التي كانت في الماضي ماء لآل هذال من شيوخ
عنزى. فاشتراها منهم سنة ٩٥٨ هـ راشد الدريبي العنقري
التميمي من آل عليان، ثم عمرها وسكنها ومن معه من عشيرته، فاستمرت
رئاستهم فيها الى ان تغلب عليهم آل مهنا من عرب عنزى في آخر القرن
الثاني عشر.

ولكن آل عليان ظلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا
وذاك عليهم، فافضى العداء الى قتلهم مهنا ابا الخيل في عهد عبد الله، فكتب

اولاده

اولاده الى الامام يشكون الامراليه فلم يسمع شكايتهم، بل انحاز كما قال جلالة الملك الى آل عليان. اما آل مهنا فاستنجدوا ابن الرشيد الامير محمداً، فجاء هذا بريده، وطفق يحقر تحت سيادة ابن سعود فيها.

وعندما حدث الخلاف بين الامام عبدالله وبين اهل المجمعة فأدى الى الحرب كان محمد بن الرشيد | ١٢٩٦ هـ ١٨٨١ م | قد اتفق واهل ذلك البلد على ان يكون حليفهم وحاميهم، وان يكونوا من رعاياه، فاستنجدوه عندما بلغهم خبر قدوم عبدالله بن فيصل، فجاء الى المجمعة بجيش مؤلف من بوادي شمر وحرب. وعندما وصل الى بريده انضم اليه اميرها حسن آل مهنا ابو الخيل ومعه جند من القصيم. ثم زحفوا الى الزلفي وكان عبدالله ومن معه من اهل المحمل وسدير والوشم وبادية عتيبة قد عسكروا في ضرمه فلما علموا بتحالف ابن الرشيد وابن مهنا وزحفهما الى الزلفي انسحبوا من ضرمه وعادوا الى الرياض.

دخل ابن الرشيد المجمعة وامّر عليها احد رجاله، فكانت هذه بعد نفوذه في القصيم، الخطوة الثانية في استيلائه على نجد.

اعاد الامام عبدالله الكرة على المجمعة | ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م | فاستغاث اهلها بامير الجبل ابن الرشيد وامير بريده ابن مهنا فاغاثاهم، فأدى ذلك الى وقعة بينهم وبين الامام، كانت الغلبة فيها لابن الرشيد. فكتب بعد ذلك الى رؤساء البلدان في الوشم وسدير يدعوهم اليه في الحمادة مكان الوقعة فجاؤوه طائعين، فعزلهم من وظائفهم وامّر في كل بلد من بلدانهم واحداً من رجاله. وكانت وقعة الحماده الخطوة الثالثة في

استيلائه

استيلائه على نجد.

بعد هذه الوقعة بعث الامام عبد الله باخيه محمد رسولاً الى ابن
الرشيد فاكرمه وتفاوض واياه. وقد عاد محمد من حائل يحمل الى اخيه
من امير الجبل هدية وتعهداً بان يترك له بلدان الوشم وسدير، فبادر الامام
الى عزل من اراد عزله في تلك البلدان فزاد ذلك في الشقاق والتخاذل،
اذ لم يستقم نفوذ ابن سعود فيها، ولا تقلص نفوذ ابن الرشيد.

اما اولاد سعود بن فيصل الذين نزحوا الى الخرج فقام منهم محمد ينصر عمه عبد الله،
وقد حشد جيشاً من عتيبة وراح يطلب الخصم الجديد ابن الرشيد، فالتقى به
عند ما يسمى عروى فنازله هناك وكان مهزوماً. هذي هي بداية العداء بين
ابن الرشيد وبين اولاد سعود بن فيصل.

ولكنهم لم يكونوا يداً واحدة على خصمهم. فقد قاموا في هذه السنة على
١٣٠٢ هـ ١٨٨٤ م عمهم عبد الله يحاولون انتزاع الحكم منه، فقبضوا عليه والقوه في
السجن، فجاء ابن الرشيد يقطف ثمار الخلاف على عادته. جاء فزعاً كما ادعى
وكان قد كتب الى رؤساء البلدان في نجد يستجب عمل اولاد سعود ويدعو لنصرة
عمهم عبد الله. فلبى الناس دعوته، وحشدوا معه الى الرياض، فخرج اليهم عندما
دنوا منها وفد للمفاوضة برآسة عبد الرحمن بن فيصل، فقال ابن الرشيد:
ما قصدي والله غير ان اخرج عبد الله من السجن وان تكون الولاية في بلدكم
لكم يا آل سعود. ثم عاهدهم على ذلك.

اما اولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتحاد الناس عليهم طلبوا من ابن
الرشيد الامان فامنهم على دمائهم واموالهم، فعادوا الى الخرج، ثم

دخل

التهار فقد اطلق عبدالله منه

دخل ابن الرشيد الرياض واستولى عليها، فظهر اذ ذاك في مظهر الفاتح ~~فاطلق عبدالله~~

ثم أمر السجن وارسله واخيه عبدالرحمن وعشرة اخرين من آل سعود اسرى الى حائل .

سالم السبهان (بيت السبهان اخوال بيت الرشيد) على الرياض .

بعد خمسة اشهر جار سالماً ~~وقمن~~ قتالهم الخرج، وكان اهله قد اختصموا وابناء سعود

بن فيصل، فراح سالم يحسم الخلاف هناك . وقد حسمه حسماً تستحيل عنه

المعاودة، ~~قتل~~ اذ انه قتل ابناء سعود محمداً وسعداً وعبدالله (1) اولئك الذين اسرهم ابن الرشيد

على حياتهم واجلى اهلهم الى حائل . ~~...~~ قام الناس يحتجون على السبهان فعزله ابن الرشيد . وامّر

مكانه فهّاد بن رخيّص من كبار شمّر .

وفي السنة التاليه مرض عبدالله بن فيصل في الجبل فاذن له ولاخيه عبدالرحمن

واستشيرهما بان يعودا الى الرياض، وقد عاهد عبدالله بان يكون اميراً في "ديرته" .

١٢٠٧ هـ
١٨٨٩ م

ولكن عبدالله توفي في ٢ ربيع الثاني (٢٦ نوفمبر) من هذه السنة بعد

وصوله الى الرياض فكتب عبدالرحمن الى ابن الرشيد يخبره بذلك ويسأله سحب عامله

منها حسب العهد المذكور . فكان جواب ابن الرشيد ان عزل فهّاد بن رخيّص وعين مكانه

سالم السبهان . وفي ١١ ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبدالرحمن ان ابن السبهان

قادم ليسلم عليهم سلام العيد ويقتلهم، فاحتاطوا للامر . وعندما وصل السبهان

امر عبدالرحمن بان يجمع آل سعود ليلقي عليهم كلاماً من ابن الرشيد، وكان في

نيته ان يفتك بهم فيبيدهم جميعاً . ولكن السعوديين سبقوه الى شيء ما كان

يبطن فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عدداً منهم .

بلغ خبر هذا الحادث اهل القصيم وكانوا قد اختلفوا وابن الرشيد فكتبوا

الى عبدالرحمن

---

(1) لسعود ابن رابع اسمه عبدالعزيز وقد كان وقتئذ مع المجلوبين في حائل

الى عبد الرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون. وعندما مر ابن الرشيد ببلادهم وهو قادم الى الرياض ليثبت ابن سبهان في مركزه، وقفوا له في الطريق وصدوه فعللهم بالوعود — وعد بان يعطيهم بادية مطير "والخوة" التي كانت تفرض على الحجاج — فرضوا بذلك ونكثوا عهدهم مع ابن سعود عبد الرحمن.

زحف ابن الرشيد الى الرياض بجيشه فحاصرها اربعين يوماً. ثم دعا اهلها للصلح فخرج اليه محمد بن فيصل والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف (من آل الشيخ)(١) ومعهما ابن عبد الرحمن عبد العزيز الذي كان يومئذٍ في الحادية عشرة من سنه، فتفاوضوا مع ابن الرشيد وتصالحوا على ان تكون الامارة في العارض لعبد الرحمن بن فيصل. ~~وكانت هدنة من~~ الا انه كان صلحاً ممحوها لان ابن الرشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة، ولا تمكن اهلها من رده عنها. [illegible]

[illegible] سعود [illegible] الى العارض.

اما اهل القصيم فبعد ما عاد الامير محمد الى الجبل طلبوا منه ان يبر بوعده فسوف وتردد، فنهضوا ثانية عليه وجندوا قواتهم للحرب. وما كان هذا الامير الشمري ليرد طالباً. فاستنفر قبائله وتلاقى واهل القصيم في القرعاء (١٣٠٨هـ ١٨٩٠م) فتصادموا وتناوشوا في العشر الاول من جمادى الاولى من هذه السنة وكانت الغلبة لاهل القصيم، فاقترح بعض رجال ابن الرشيد ان يخرجوا من ذلك المكان كانهم منهزمون ويسيروا الى البادية حيث لا "ضلعان" تلال — ولا "خبان" — اماكن يكمن فيها — فيظن العدو انهم انهزموا فيتعقبهم فيقطعون ساقته بالخيل. قال الراوي: واهل القصيم الناس

---

(١) راجع الشرح في صفحة

الناس شجاعتهم كثيرة ورأيهم قليل" فلما رحل محمد بن الرشيد صاحوا: انهزم، انهزم والحقوه، فبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم، فهجمت عليهم الخيل، فاجتثت مؤخرهم وكانت الهزيمة عظيمة. قيل انه قتل الف رجل من اهل القصيم في تلك الوقعة التي تدعى وقعة المليدة والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن الرشيد على نجد.

لم يقم لآل سعود قائم بعدها. فقد كان الامام عبد الرحمن خارجا برجاله من الرياض لينجد اهل القصيم، ولكنه عندما علم، وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة، عاد الى الرياض، فاخرج حريمه واولاده منها وارحلوا الى الحسا.

[illegible] طبيب الجيش فيها. [illegible] التي كان بومئذ عاكف باشا متصرفها [illegible] ف ب لبناني [illegible] وهذا اللبناني هو الدكتور زخور عازار [illegible] الذي [illegible] انتدبه المتصرف ليفاوض [illegible] ابن سعود وليعرض عليه شروط الدولة، فاجتمع الدكتور زخور بالامام عبد الرحمن [illegible] على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ (يناير ١٨٩١م) وعرض عليه ان ~~يتولى الحكم في الرياض من قبل~~ ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة، اذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها ودفع بمثابة الخراج شيئاً الف ريال مثلاً اداقل في السنة. فرفض الامام عبد الرحمن قائلاً ان بعد ذبح بني الرشيد[1] تفلتت العشائر فصارت خائنة بعضها لبعض، والامراء الحاليين كذلك. وانه لا يستطيع والحال هذه ان يثق بها ويتكل عليها.

وكان

---

(1) ذبحه عمه الامير محمد [illegible] وذبح اخوته الاربعة الاخرين كما سيجيء في ما يلي.

وكان صاحب قطر قاسم بن ثاني خارجاً يومئذ على الدولة فشاع ان
الدكتور زخور ليسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وابن ثاني لاخراج الترك
من الحسا. فأُوقف خمسة عشر يوماً في الهفوف ثم أُستدعي الى بغداد فبرئت
مما اتهم به. ولكنه ابى بعد ذلك ان يعود الى منصبه.

اما الامام عبد الرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل واولاده الى الكويت،
فمنعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول اليها، فخادوا الى البادية
واقاموا بضعة اشهر مع العجمان. ثم أتوا قطر فأقاموا فيها شهرين.

وكانت الدولة لاتزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمن حركاته
وسكناته، فارسل متصرف الحسا يستدعيه اليه فلبى الدعوة. وقد
تم بعد ذلك الاتفاق على ان تدفع [١٢٠٩ هـ / ١٨٩١ م] الدولة الى الامام عبد الرحمن
ستين ليرة مشاهرة (٦٠) — وقلما كانت تدفعها — وان يقيم وعائلته
في الكويت، فقبل ابن الصباح اذ ذاك ان يستوطنوا البلاد.

تاريخ نجد الحديث

سيرة الملك عبد العزيز

تمهيد + الفصل الأول الى الفصل الثامن

٨١ ب - ١٣٨

سيرة

~~تاريخ~~

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

~~وفقه الله~~

ولد في { ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ
٢ ديسمبر ١٨٨٠م } تقريباً

تمهيد

بعض الامراء الذين كانوا سائدين في الشطر الشرقي

او في قسم منه من شبه الجزيرة يوم كان

ابن سعود منفياً في الكويت

رقعيا

توفي

الشيخ مبارك الصباح . امير الكويت تولى الامارة { ١٣١٣ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٩٥ - ١٩١٥ م }

كان حاد المزاج، شديد البأس، كثير التقلب . فيه شيء من الاسد

واشياء من الحرباء . بدوي الطبع، حضري الذوق، تارة يجبه الخصم

وطوراً يجامله . وكان كريماً جواداً، بل كان مسرفاً . [مشطوب] يسترسل

الى الترف والبذخ، ويقدّم بعد حبه للمجد والسيادة، نواعم العيش

ونوافله على كل شيء سواها .

اما سيف مبارك فكان ضئل سياسته ذا حدين . قتل اخويه

محمداً وجراحاً طمعاً بالامارة، وحباً بالمجد، فكان اميراً مجيداً . هو من

اولئك الحكام المتفردين بالحكم الذين يرهقون الامة بالضرائب ليحكوا

لها حللاً من الفخر ~~المجد~~ والمجد باهرة والعز،

شيّد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة . كان يلقب

"الحواقة" من حاق ومرادفاتها مثل دار ولف، اي ما يراد به السير

على ~~عكس~~ عكس الخط المستقيم . نصف عمله سر لايدركه سواه، والنصف الآخر خدعة

باهرة، او خدعة مضحكة، او خدعة كثيفة مدلهمة . لاعب العشائر والبها،

اجزل لها العطاء، فاخذت ماله وهداياه، وعبث لاعدائه .

خطب

[illegible]

خطب الدولة العلية ولاهم نحيا الحب والاخلاص ـ نقسم بالله العلي
العظيم اننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا ـ فكتب كتابه عليها ، ففتحت
له قلبها المختَّط المضمَّخ بالطيب . ثم انقلبت عليه
تغازل الدولة البريطانية ، فبادرت اليه والهانة ويدها على قلبها
المقفل بعشرة اقفال ، وبنت لها حصناً في ظلال قصوره .
احب آل السعود فطوقهم بذراعيه ـ انتم تخوض اولادي ثم ضرب بهم عدوه
ابن الرشيد .
احب العجمان ، ثم حاربهم ، نحن معكم كالحطب بالله ونحرقكم ونحرق دياركم ـ
ثم أشعلهم حرباً على ابن سعود .
ولكنه احب الامير خزعلاً حباً جماً ، صافياً ، نبيلاً ، فبنى له قصراً
في الكويت ، وبنى خزعل لمبارك قصراً في المحمرة ، فكان الاثنان يجتمعان
على ضفاف قارون او على شاطئ الخليج ليقضيا الايام والليالي بين سرب من
القيان والراقصات ولسان حالهما يقول : بعداً للسياسة والحروب .
الشيخ خزعل بن مرداو امير المحمرة سابقاً . راجع الفصل الخامس من القسم السادس من
كتاب "ملوك العرب" الجزء الثاني صفحه ١٦٠

توفي

رقعي

الامير محمد بن الرشيد ـ امير نجد تولى الامارة ١٢٨٨ ـ ١٣١٥ هـ
(١٨٧١ ـ ١٨٩٦)

كان امير الحاج العراقي يوم كان بندر ابن اخيه طلال متولياً الامارة .
وعندما قام بندر واخوه بدر على عمهما متعب فقتلاه رحل محمد عمهما
الثاني الى الرياض ولاذ بالامام عبد الله بن سعود ، فوفق الامام بينه

وكان بندر قد تولى الامارة، فأمّن عمه محمداً

وبين ابني اخيه. فأمّنه بندر على حياته وكان قد تولى الامارة فعاد

على حياته، فعاد اكبر

محمد الى الحائل واستمر اميراً للحاج. ولكنه طمع بامارة اكبر منها. فقام بعد

ثلاث سنوات يحقق مطامعه. وقيل انه قام بثأر لاخيه، وقيل انه

قام يرد السيف الذي ذبح اخاه وكان يومئذ مسلطاً عليه. اما القول

على ان القول الذي لا ريب فيه هو ان سيف الامير محمد تقاضى خمسة رؤوس

بدل الرأس الواحد، فقد قتل بندراً واخوته الاربع ابناء اخيه طلال.

بالله من قبرة مجبر هلالك الجو فنيض واصغري ~~[illegible]~~

صفر الامير محمد القبائل فتبعته مختارة او كارهة، فكتب له النصر في حروبه كلها

ولكنه قال في خطبة خطبها في ساحة حائل يبرر قتله ابناء اخيه:

"يا مسلمين ما قتلتهم والله الا خوفاً على هذه (وضرب رقبته بيده) همو

بقتلي فسبقتهم وذبحتهم. وهل تظنون ان من ذبح اخي شعباً يعفو عني؟"

تولى الامير محمد الامارة فكان كبيرها كبير شمر بل كبير العرب في ايامه.

فقد استولى على بلاد نجد كلها حتى وادي الدواسر، وكان في حكمه عادلاً

بل كان حليماً

البدو كانوا يسمونه ... فقد قالوا انه لو يحسن الحكم لانه لا يكثر منه قطع الرؤوس.

~~حليماً. ولكن ... الحكم ... الرؤوس ...~~ حليماً. على ان

كبير ... الرشيد آلى

كان الامير محمد آلى على نفسه بعد ذبحه ابناء اخيه الخمسة الا يقطع رؤوساً

الا في الحرب.

اما في السياسة فلم يختلف كثيراً عن زميله "حوّاقة" الكويت ولكنه

كان ابعد نظراً واسدد رأياً منه فيقدر الناس لعقولهم ويعاملهم بموجب

ذلك. وقد قال العرب انه يعامل كل انسان على قدر عقله.

وقد كان للامير محمد طرق ثلاث في التغلب والاستبداد اسمها الكرم،

والسيف

والسيف والارهاب. فقد كان قتيل اليه من يستطيع استمالتهم بالهدايا، ويمتشق الحسام على من لا تغرهم هداياه، ويمشي الى غرضه على ظهور اولئك الذين يخشون سطوته. فقد كان ولا غرو مهابا، ولكنه على الاجمال لم يكن محبوباً.

رفعي

الامير عبد العزيز بن متعب بن الرشيد. تولى الامارة {١٣١٥ - ١٣٢٤ هـ / ١٨٩٧ - ١٩٠٦ م} توفي

حدثني اعرابي من شمر قال: كان عبد العزيز جالساً للناس في الفلاة يوماً من الايام فاحس بشيء يلذعه في ظهره، فخاف ان يكون حشرة لا تستحق الاهتمام، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله. ثم دخل الى الخيمة وطلب احد عبيده، فرفع العبد ثياب عبد العزيز فاذا بين كتفيه عقرب كبير يقرص جلده. صاح العبد مذعوراً، وخشي ان يمس العقرب، فتناوله عبد العزيز بيده ورماه خارج الخيمة ثم امر العبد ان يذر على مكان اللذع رماداً حامياً ففعل، ونام بعد ذلك كأن لم يكن شيئاً.

قد سمعت من القصص غيرها التي تدل على ان عبد العزيز بن الرشيد كان جباراً، وقد كان في الحرب فارساً مغوارا. قال فيه القائد التركي الفريق صدقي باشا: هذا فارس لعلي. ولكنه لم يكن لعلي في غير ذلك. ولا اظنه سمع بالبيت القائل:

"الرأي قبل شجاعة الشجعان ، هو اول وهي المحل الثاني"

طمح بالاستيلاء على الكويت، وهو يبغي منفذاً على الخليج، فاصطدم هناك بالشيخ مبارك، فاظهرت الصدمة عدواً آخر، عدواً جديداً له ولبنيه، هو كميّه عبد العزيز بن سعود، فحاربه فقتل في الحرب في نجد، بعد ان خسر نصف ملكه.

منفذاً

الشيخ

الشيخ قاسم بن ثاني امير قطر

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٣٢١ فيكون قد عاش مئة وخمس عشرة سنة، قضى معظمها في اكثار النسل الانساني. فقد تزوج على ماقيل بتسعين امرأة وبعدد من الجواري عديد. وكان له من الاولاد والاحفاد وابناء الاحفاد ذكوراً واناثاً ما نضرب صفحاً عن عددهم فلا نتهم بالمبالغة. ولكنه كان اذا ركب يركب ستون فارساً في موكبه من صلبه

لم يكن الشيخ قاسم، او جاسم كما ألفظ هناك، سيداً على غير عشيرته يوم كانت قطر تابعة لحكومة البحرين. فقام، وكان يومئذ قد تجاوز الخمسين من سنه، يدعو القبائل كلها الى الاستقلال فلبت دعوته. وبعد وقعات بحرية وبرية مع اهل البحرين، وكرات وغلبات، حازت قطر استقلالها.

ومن عجائب السياسة في الخليج انه كان للانكليز يد، ولنا ان نقول يد سلبية، في استقلال قطر. اي ان الحكومة بريطانية العظمى ارسلت عليها سفينة من سفنها الحربية، فضربت الزبارة عاصمتها بالمدافع وصدّت القطاريين عن استيلائهم على البحرين ثم ارضتهم بان فصلت شبه جزيرتهم عن جزائر آل خليفة.

اما الترك فقد حاربهم ابن ثاني فكسرهم في وقعات عديدة، وذبح عدداً كبيراً منهم، ولكنه لم يتمكن من اخراجهم من الحسا. والحق يقال ان الحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم. ولا همه ان يكون له صفحة ذهبية، او بالحري قرمزية في التاريخ. بل كان همه الاكبر اكثار النسل الانساني كما قلت. ومن همه الآخر ان يحسن تجارة اللؤلؤ فقد كان له خمس وعشرين سفينة للغوص وان يجمع المال من ذي التجارة وينفقه في سبيل البر والاحسان.

ومن

ومن احسانه انه كان ولوعاً في جمع العبيد وعتقهم قيل انه عتق في حياته اكثر من خمسين عبداً، وان مماليكه الاحرار اسسوا بلدة في قطر سموها السودان.

ومن اركان احسانه وبره الورع والتقوى. فقد كان حنبلي المذهب، متصلباً فيه، يصرف واردات اوقافه على الجوامع والخطباء، والائمة والمدرسين، بل كان هو نفسه يعلم الناس الدين، ويخطب فيهم خطبة الجمعة.

أضف الى الورع والتقوى اذن فصاحة اللسان، والى الفصاحة العلوم الدينية والفقهية، والى العلوم الصبر الحي واليقين، والى ذلك كله الثراء والجود، فيكون المجموع رجلاً ولا كالرجال، عاش قرناً ويزيد في قطر فكان اميرها، وخطيبها، وقاضيها، ومفتيها، والمحسن الاكبر فيها.

امحي

الشيخ عيسى آل خليفة امير البحرين. راجع الفصل السادس من القسم السابع من "ملوك العرب" الجزء الثاني - صفحة ٢٢٥

الشاب المجهول

ولد في الرياض عاصمة ملك اجداده، فرأى عمومته يتنازعون الملك ويتحاربون، ورأى العدو على ابواب العاصمة وهو يطمح بالاستيلاء على مجد ابيه، ورأى اباه يحارب في الوقعة الاخيرة ويستسلم الى الله. ثم سمعه وهو جالس الى جنبه في الخبا يرفض شروط الدولة العلية، فسدت امامه الابواب كلها الا الباب الى الصحراء، فلجأ الى خيام الشمر وهو ضيف اصحابها لا يملك شبراً من الارض، وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية، الثقة بالله، التي هي كنز الاعرابي الاكبر.

ثم سكن الاب الكويت وصار الصبي شاباً فيها فكانت الذكرى الاليمة رفيقة افكاره وسميرة احلامه. قرأ شيئاً من العلوم هناك وهو يفكر في الملك المفقود. جلس امام البحر وهو لا يدري اذا ركبه الى اين تحمله الاقدار، ثم نظر الى البادية وهو يحس بالملك المفقود. عاشر الامراء والعلماء وجلس ساكتاً متأدباً في مجلس الشيوخ وهو يحلم بالملك المفقود. فتح الكتاب ثم القاه جانباً وهو يرمق السيف بنظرة كلها شوق وامل.

عاش مجهولاً في الكويت، مجهولاً الا في الاسم والنسب وفي ما يبدو للعين المجردة. فقد كان الناس يعرفون ان ذلك الشاب القوي البنية، الطويل القامة، البراق العينين، هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود. وما كان كبار القوم فكراً وفراسة ليعرفون اكثر من ذلك. بل كانوا كلهم في اطلال سور الغيب كالاطفال. جهلوا ما كان يجهله حتى اقرب الناس الى عبد العزيز، حتى ابوه وامه. جهلوا ما كان يجهله التاريخ. جهلوا ما كان يجهله الشاب المجهول نفسه. جهلوا ما لم يكن يعلم به غير الله.

الفصل الاول

وقعة الصريف

ما كاد الشيخ مبارك الصباح يجلس على العرش الملطخ بدم اخويه حتى قامت عليه الاعداء (١٣١٣هـ ١٨٩٥م) من كل جانب واهمهم من غير الحكام خال ابناء المقتولين يوسف آل ابراهيم كبير تجار اللؤلؤ في ايامه واغناهم. فقد بذل يوسف ثروته كلها ووقته وجهده وجازف بحياته طالباً الانتقام. ثم سافر الى قطر والى البصرة والى حائل والى الحجاز يحرض الامراء والحكام على الشيخ مبارك(١).

وكان يوشك الشيخ قاسم بن ثاني ناقماً على مغتصب الحكم في الكويت فنصح ليوسف ان يذهب الى حائل مستنجداً بابن الرشيد. وقد كتب صاحب قطر كتاباً الى الامير محمد يزين له احتلال الكويت ويعده بالمساعدة الحربية. على ان ابن الرشيد، وهو يوشك اكبر العرب عقلاً وحنكة واقتداراً، لم تستفزه كلمات ابن ثاني، ولا استهوته اموال ابن آل ابراهيم.

(١٣١٥هـ ١٨٩٧م) وقيل انه اوصى وهو على فراش الموت الى اخيه عبد العزيز الذي تولى الامارة بعده.

---

(١) قد رويت الحادث وبينت اسبابه في الفصل الثاني من القسم السادس من "ملوك العرب" وقلت ان القتل كان بالسيف فكتب احد ادباء الكويت مقالاً يشير فيه الى بعض الاغلاط ويصلحها فقال ان القتل كان بالبندقية. تعددت الاسباب والموت واحد.

ثم قال منتقدي ان يوسف آل ابراهيم لم يسافر الى الاستانة بعد حادث القتل ولكنه سافر الى الحجاز يحمل الهدايا الثمينة الى الشريف مكة ليتخذه عوناً في تحريض نفس السلطان للقضاء على الشيخ مبارك. تعددت الاسفار والوطر واحد.

بعده ألا يطمح بأنظاره الى الكويت والا يباشر صاحبها العداء.

ولكن الامير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه. وعندما جاءه يوسف آل ابراهيم واحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض للامر وشرع يشن الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء.

وكان الشيخ مبارك عالماً بالقصد الاكبر من هذه الغارات، وبما تقدمها من المؤامرات عليه، فأرسل رسله الى العراق مستنجداً بالدولة، ولكن يوسف آل ابراهيم كان قد سبقه الى ذلك، فأقنع اولي الامر بما بذله من المال فأرسلت حملة مؤلفة من اربعة طوابير الى الزبير لتهدد صاحب الكويت. بيد انها ابطأت جداً في السير ـ ظلت ستة اشهر في الطريق بين بغداد والزبير ـ وقيل ان الحكومة تعمدت هذا الابطاء املاً بأن يقضى الامر قبل وصول الحملة، وطمعاً بالمزيد مما كان يبذله بدون حساب خال الموتورين.

ولكن مباركاً لم يفشل كل الفشل في العراق فقد حالفه سعدون باشا ابو عجيمي رئيس عشائر المنتفق وخرج معه بعدئذ على ابن الرشيد.

اما حليفه الاكبر، وان كان يومئذ قليل ذات اليد، فهو صاحب نجد السابق الذي كان عنده في الكويت، اعني به الامام عبد الرحمن آل سعود. فقد تعاهد الاثنان ان يكونا يداً واحدة على ابن الرشيد. وبعد ذا التعاهد خرج عبد الرحمن بجيش من الكويت واغار على عشائر قحطان في روضة سدير.

ولكن الشيخ مباركاً كان قد رهن بشكيتين في بحر السيالة دفعاً للحرب واستعداداً لها. فارسل الى ابن الرشيد يفاوضه بالصلح، وكتب الى البعض الرؤساء من اهل نجد يستنهضهم على ابن الرشيد. وكان الامام عبد الرحمن

قد غزا

قد غزا نجد، وقفل راجعاً، فأرسل اليه يأمره بان لا يرجع الى الكويت ولم
يأذن له عندما قرب من المدينة بالدخول اليها ليشاهد عائلته. وقد كان
للشيخ مبارك في ذلك مآرب سياسية، ~~الا~~ ولكنه عندما علم ان ابن الرشيد رفض
الشروط بالسلم جهّز جيوشه وخرج يقودها بنفسه، ومعه اخوه حمود
والامام عبد الرحمن السعود وابنه عبد العزيز ~~[illegible]~~

اما ابو جحيمي السعدون فكان قد خرج بعشائره ليطارد ابن الرشيد الذي
كان قد وصل في غاراته الى اطراف العراق. والظاهر ان الغلبة في
الوقعة الاولى كانت على ابي جحيمي فارسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك
وكان انذاك لا يزال في الجهرة فبادر الى نجدته.

زحف الى السماوة حيث كان ابن الرشيد، ولكن ~~[illegible]~~ حكومة البصرة
عاقت في سيره عندما وصل الى ما بين الزبير والخميسية، فاستغرب مبارك
الامر، وطلب مقابلة الوالي فوافاه الى قرب الزبير، وبعد المفاوضة [illegible] واذن لاخيه
حمود وعبد الرحمن بن سعود ان يطاردا ابن الرشيد، فلما وصلا بالجيش
الى عين صيد رحل الامير الشمري من السماوة.

فلما عاد حمود وعبد الرحمن شرع مبارك يعد العدة للغزوة الكبرى غزوة
نجد. فاستنفر القبائل فلبته مطير باجمعها ولباه العجمان وآل مرة وغيرهم
من بوادي الجنوب. وجاءه ابو جحيمي السعدون بعشائره من الشمال. ناهيك بان
بعض الزعماء من اهل نجد كانوا قد كتبوا اليه يعدونه بالمساعدة فانضم عدد
منهم الى جيشه وفيهم آل سليم امراء عنيزة وآل مهنا امراء بريدة.

زحف هذا الجيش، وعدده نحو عشرة آلاف يقوده الشيخ مبارك فقطع
الصمان

الصمان ثم [١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م] الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكة. وهناك اذن عبد العزيز بن عبد الرحمن، اجابة لطلبه، بان يسير بفرقة من هذا الجيش، الف رجل من البادية، الى الرياض فيستولي عليها.

افترق الجيشان في الشوكة، فزحف عبد العزيز سعود جنوباً يقرب مكان في اول غزواته موفقاً احتل الرياض ماعدا القلعة منها.

وكان قد احتل مبارك بلداناً عدة من نجد بدون قتال. بل كان اهلها يرحبون به لعلمهم ان حليفه ابن سعود. اما ابن الرشيد فكان قد تقهقر وهو لا يريدان ينازل جيشاً اكبر من جيشه. وظل يتقهقر حتى جرّ العدو الى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلاً من بريده الى الشمال.

في جوار هذه القرية، في مكان يدعى الصريف، في ٢٦ ذي القعدة من هذه السنة (١٦ فبراير ١٩٠١) اشتبك الجيشان وتلاحما طيلة ذاك النهار فكانت الوقعة من اعظم وقائع العرب الحديثة، ودارت فيها الدوائر على ابن الصباح وحلفائه. خسر الشيخ مبارك عدداً كبيراً من قومه وشيئاً كثيراً من عتاد الحرب، فعاد ومن تبقى من الجيش منهزمين الى الكويت.

وكان الظافر قاسياً عتياً، فقد امر بقتل الاسرى اجمعين، ثم زحف الى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت الى صاحب الكويت، فنكّل برؤسائها، ونزع السلاح من اهلها، وضرب عليهم الضرائب الفادحة.

اما عبد العزيز بن سعود فلما علم بوقعة الصريف اخلى الرياض، التي احتلها اربعة اشهر فقط، وعاد برجاله الى الكويت، فاستولى بعد ذلك ابن الرشيد كل الاستيلاء على نجد اجمع. ولكن ذا الاستيلاء لم يدم طويلاً لان وقعة

الصريف

الى عاصمة اجداده التي وصلها بعد غيبة، وكان في باكورة غزواته موفقاً. فقد احتل المدينة ماعدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد. فعزم عبد العزيز على حفر نفق اليه، وباشر ورجاله العمل.

الصريف كانت فريدة في نتائجها وعواملها. هي وقعة كان الظافر فيها مغلوباً. هي اول خطوة باهرة في سقوط ابن الرشيد عبد العزيز، كما ان حملة عبد العزيز بن سعود على الرياض هي اول خيبة في فتوحاته.

الفصل الثاني

احتلال الرياض

بعد وقعة الصريف واستتباب السيادة الرشيدية في نجد شدّ الظافر ثانية على ابن الصباح، فنزل **الحفر** الماء المعروف الكائن في منتصف الطريق بين القصيم والكويت.(١) وراح يوسف آل ابراهيم يستحث بالاصغر الريان عزم الدولة او بالحري عزم اولي الامر من رجالها في العراق.

وكانت شكوى الموتورين ابناء اخويّ الشيخ مبارك قد وصلت الى الاستانة ففتحت لها السياسة اذنها وبريطانية العظمى وقتئذٍ وراء الستار. قال ~~السفير الانكليزي~~ الكلمة التي طالما اصاخ لها الباب العالي فأنذر صاحب الكويت. نعم انقلبت الدولة العلية على الشيخ مبارك، وهو الذي ساعدها لتستولي على الحسا، فسيرت الى الكويت باخرة حربية.

وكان ابن الرشيد قد زحف الى اطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهرة، تلك البلدة الكائنة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي على مسافة خمسة عشر ميلاً من العاصمة. احاط الاعداء بالشيخ مبارك، حاقت "بالحواقة" الاخطار. ولكنه لم يفقد من عزمه ودهائه شيئاً. فعندما رأى نفسه وبلاده في شبه الحصار فتح قلبه للدولة الاخرى الآسيية بواخرها الحربية عند الشاطئ الفارسي

(١) راجع الفصل السابع عشر "الحفر" من القسم الخامس في الجزء الثاني من "ملوك العرب"

من الخليج . ارسل الى ابي شهر يستنجد الانكليز، فجاءه بعد ثلاثة ايام مركب حربي ورسى في مياه الكويت عشرين يوماً .

تلبد جو السياسة في بغداد والبصرة، فابتسم مبارك وهو يجهز الحملة الثانية على ابن الرشيد، وضحك وهو زاحف الى الجهرة والمركب الحربي سائر في مرأى من الجيش اليهم — أتبغون حصاري براً وبحراً ؟ ها انا ذا جئتكم بحراً وبراً بالقوات التي لا تُغلب .

ولم يطلق المركب الحربي مدفعاً، لان الربان اذن ببعض المدافع الرشاشة فأُنزلت في الزوارق الى البر ومعها ضباط علموا الكويتيين استخدامها . ثم خطر في بال ذاك الربان الذكي ان يرهب العربان بالاسهم النارية، فارسلها ليلاً في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب . قبل ان ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

وقد ادرك الامير الشمري بعد هذا الحادث وتلك الاسهم النارية انه لا يستطيع الاستيلاء على الكويت بدون مساعدة الدولة مباشرة . فعاد بجيشه الى الحفر وشرع يفاوض الترك في بغداد . فلما علم الشيخ مبارك بذلك اراد ان يشغله بشيء وراء الدهناء في نجد

وكان السعد في وجود آل سعود بالكويت خادماً لمبارك . هو ذا عبد العزيز وهو يأبى ان يقف في محاربة ابن الرشيد عند خيبته الاولى .

وكان بعد رجوعه من الرياض قد سأل والده ليستاذن من الشيخ مبارك باعادة الكرة على خصمه فاذن الشيخ حباً وكرامة .

ولكن الغزو يكون جماعة والجماعة — اربعون رجلاً من عائلة آل سعود

وخدامهم السابقين - حافزون، ولا يلزمهم غير الركائب، والبنادق، والزاد،

- اجاب الشيخ مبارك الطلب فاعطى عبد العزيز اربعين ذلولاً، وثلاثين

بندقية، ومئتي ريالاً، وبعض الزاد.

١٢١٩ هـ
١٩٠١ م
كان عبد العزيز في الواحد والعشرين من سنه عندما خرج

بهذه الشرذمة من الكويت. خرج "يخرج" - يقصد - البوادي علّه يزيد

في الاقل عدد رجاله. نخروا قبيلة مطير فردتهم خائبين. خافت مطير بطش

ابن الرشيد اذا هي ساعدت ابن سعود. ثم نخروا العجمان فتردد الرؤساء

فيهم ولكن كثيرين من العامة انضموا الى غزو ابن سعود. وكذلك آل مرة وسبيع

والسهول. فاشتد ساعد عبد العزيز. اصبح معه بدل الاربعين ذلولاً

الف ذلول واربعمئة خيال.

هو جيش يذكر في البادية. وركب القائد الشاب على رأسه يقطع

الصمّان والدهناء فوصل الى مكان يقال له العُرَض بنجد وغزا هناك

عرب قحطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد، فاصاب منهم مغنماً كبيراً،

وعاد الى ناحية الحسا.

عندما علم ابن الرشيد بهذه الغزوة هجم في اطراف الكويت على قبائل

عريبدار (١) ليظهر انه لا يبالي بمثل هذا العدو.

ولكن ابن سعود بعد ان موّن جيشه في الحسا خرج غازياً مرة اخرى،

فوصل الى سدير، فاغار هناك في مكان يدعى عُشَيْرة على قبيلة من

قحطان واخرى من مطير فاخذهما ورجع بالغنائم فنزل ثانية في اطراف الحسا.

وكان جيشه يزداد في كل غزوة حتى اصبح الف وخمسمئة ذلول وستمئة خيال

(١) يطلق هذا الاسم على خليط من العرب لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل

اما ابن الرشيد فعاد بجيشه الى الحفر . ولما بلغه خبر غزوات ابن سعود الموفقة ارسل رسولاً اسمه الحازمي الى الشيخ قاسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد ثم كتب كذلك الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي وبتحريض البوادي عليه .

اجابت الحكومة طلب ابن الرشيد فشددوا امرها ومنه اكثر من الف هجان وهئة خيال من جيشه ابن سعود فلم يبال بذلك لانه لم يكن ليركن الا الى رجاله الاربعين الاولين .

نحو بما تبقى منه الغزوة الثالثة فوصل الى جنوبي نجد واغار هناك على قبائل من الدواسر فلم يصب مغنماً كبيراً . ولكنه عاد الى ناحية الحسا . وكان وقت الشتاء فتفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم ، ولم يكن ليربطهم بابن سعود الاحب الكسب ، فلم يكن له والحال هذه ان يكرههم على البقاء .

اربعون رجلاً ظلوا اربعين بعد ان ذاقوا حلاوة النصر ومر الفشل والخسران ، ولم يكن لعبد العزيز كبيرهم الشاب ما يشحذ عزمهم ويفتح لامالهم ولو كوة من النور . استمر ابن الرشيد يحرض الترك وصاحب قطر عليه فكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه ان يرجع الى الكويت فابى . وعندما اشتد عليه ضغط الحكومة حكومة الحسا ، فر ورجاله هاربين جنوباً فوصلوا الى مكان بين حرض وواحة جبرين ، فاقاموا هناك شهراً .

وكان ابن الرشيد لا يزال على الحفر وهو يستنجد الاتراك في احتلال الكويت ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود كلهم فقطعت الدولة معاشهم اليهم يسد ابواب الحسا على صغيرهم ، وهم ابن الرشيد ان يجعل هذا الصغير سمية

في تلك الواحة القصية على حاشية الربع الخالي(١)

تشتت جيش عبد العزيز، وتزعزعت آماله، فنهض يائساً يضرب الضربة الاخيرة، وهو يرجو ان تكون القاضية اما عليه واما على خصمه. اعتزم الهجوم ثانية على الرياض، فاما ان يستولي عليها واما ان يُقتل في سبيلها.

وكانت قوته يومئذ ستين رجلاً لا غير، اي انه لم يبق معه من ذلك الجيش الذي بلغ عدده الفين غير عشرين مقاتلاً. وكان في الرياض قلعتان الواحدة خمس الاخرى شيدهما ابن الرشيد واقام فيها تسعين من رجاله برأسهم أميرهم عجلان.

خرج ابن سعود والستين البسلاء من مراحهم بين حرض وجبرين في ٥ رمضان ووجهتهم الرياض، فوردوا ليلة العيد ابا جفان، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال الى صعد الرياض ونزلوا في الساعة الثالثة عربية (التاسعة ليلاً) في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة.

ترك عبد العزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي وتقدم بالاربعين الآخرين وفيهم اخوه محمد وعبدالله بن جلوي امير الحسا اليوم. فلما وصل الى البساتين خارج السور اقام اخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك ومشى بالعشرة الباقين الى غرضه. ولكنه لم يتمكن من الدخول الى الحصن الخارجي اي حصن السور الا من البيت المحاذي وهو لفلاح يتجر بالبقر.

قرع عبد العزيز الباب فاجابت امرأة تقول: من انت؟

عبد العزيز: رجل من رجال الامير عجلان اريد من رجلك ان يشتري لنا بقراً،

---

(١) واحة جبرين هي على مسافة مئة وستين ميلاً من الحسا جنوباً ومئة وخمسة وسبعين ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب

صباح الغد.

الامرأة: خسئت يا شبه الرجال - ما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد.

عبد العزيز: لا والله ليس هذا مأربي. بل ابغي صاحب هذا البيت فاذا لم يرجع الى الآن فالامير يقتله صباح الغد

سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب، وكان عبد العزيز يعرفه من الهجوم الاول في السنة الماضية، ويعرف حريمه وفيهن من كن خادمات سابقاً في بيت سعود. فلما خرج امسكه بيده قائلاً: اذا تكلمت قتلتك في الحال.

وصاح النساء وقد عرفنه: عمنا عمنا عبد العزيز(1)

عبد العزيز: لا بأس عليكن اذا سكتتن. قال هذا وقد ادخلهن الى غرفة واقفل عليهن الباب.

ثم تسلق الجدار الى البيت الاخر عند الحصن وكان فيه رجل وامرأة نائمين على فراش واحد، فلفهما بالفراش وحملهما الى غرفة صغيرة، فأودعهما هناك واقفل الباب.

اطمأن من عبد العزيز البال، فارسل يطلب اخاه محمداً والباقين فجاؤوا دون ان يشعر احد بهم واجتمعوا كلهم في ذلك المكان.

وكان البيت الاخر الى جانب الحصن للامير عجلان وفيه احدى نسائه وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار. حشر عبد العزيز عشرة من رجاله الى ذلك البيت فدخلوه وطافوا بغرفه فوجدوا في احدها اثنين نائمين على

---

(1) في بعض اقطار البلاد العربية كنجد والحجاز ينادي الخادم سيده: عمي

فراش واحد ظنها عبد العزيز الامير عجلان وامرأته.

دخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً. فلما دنا من الفراش رفع الغطاء

فاذا هناك امرأتان، فأيقظهما، فاستوتا جالستين دون ان يعراهما شيء من

الخوف. وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والاخرى اختها امرأة اخيه.

عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول: انت عبد العزيز. فاجابها:

نعم. فقالت: من تبغي؟ فأجابها: ابغي زوجك. فقالت وهي تقسم بالله:

اني احب ان تقتل كل من في البلد من شمر الازدجي ولكني اخشى عليك منهم اخشى

ان يقتلوك يا عبد العزيز.

عبد العزيز: ما سألناك عن هذا الامر. انما نريد ان نعرف متى يخرج عجلان

من الحصن الداخلي.

امرأة عجلان: لا يخرج الا بعد طلوع الشمس بساعة

عبد العزيز: هذا كل ما نبغيه منكن، ولا بأس عليكن اذا سكتتن. قال

هذا وهو ورجاله يسوقون الامرأتين وبقية النساء الى غرفة واحدة.

محبوسين فيها. ثم كسروا الباب الذي يوصل الى البيت الذي كان فيه بقية

الرجال فدخلوا منه، واجتمعوا كلهم في بيت عجلان.

وكانت الساعة الثامنة عربية (الثانية بعد نصف الليل) فاستراحوا،

واكلوا التمر وشربوا القهوة، وناموا قليلاً. ثم شرعوا عند انبثاق الفجر

يدبرون طريقة للهجوم على الحصن الداخلي. وبعد قليل فتح ذاك الحصن فاخرج

بعض العبيد الخيل الى الشمس. فلما رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج

عادياً فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلاً فقط.

واتفق

واتفق ان الامير عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم

الى بيته. فلما رآهم عراه الدهش والرعب فنكص ورجاله على اعقابهم وهم

يبغون الرجوع. ولكن البوابة إلا الخرق[1] (الباب الصغير فيها) كانت قد

اقفلت، وبين كان ورجاله يدخلون من ذلك الخرق اطلق عبد العزيز

البندقية عليه فاصابه ولم يقتله. ثم ادركه وقد صار نصفه داخل البوابة

فامسكه برجليه وسحبه الى الخارج فتصارع الاثنان برهة.

اما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا الى احد الابراج المشرفة

على السوق وشرعوا يطلقون النار على رجال ابن سعود تحتهم فجرحوا اربعة

منهم وقتلوا اثنين.

تراجع الهاجمون إلا عبد الله بن جلوي فكان اول من دخلوا الحصن

وراح يعدو وراء عجلان الذي كان قد تفلت من عبد العزيز فرماه بالرصاص

فخر لوجهه قتيلاً.

نادى عبد العزيز برجاله واستفزهم فاتبعوا اثر عبد الله. هجموا على الحصن

هجمة واحدة فصاحوا بمن فيه وفتكوا بهم، فقتلوهم الا عشرين رجلاً كانوا

قد تحصنوا في جهة منه. ولكن عبد العزيز امّنهم على حياتهم فسلموا.

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال ١٣١٩ (١٥ يناير ١٩٠٢م) والاستيلاء

على الرياض باشر عبد العزيز بناء السور الجديد القائم اليوم حول

اقسام متهدمة من السور القديم، فتم بناؤه في برهة اربعين يوماً.

---

(١) وقد اطلق الخوخة ايضاً على هذا البويب.

الفصل الثالث

الحرب في الخرج

لم يحدث احتلال الرياض امراً جديداً في السياسة الدولية اي بين الدولة العلية والحكومة البريطانية. فظلت الاولى مذبذبة مروعة والثانية مراقبة من وراء الستار، حاكمة بارودها.

اما الشيخ مبارك فقد كان احتلال الرياض برداً وسلاماً على قلبه. ولم يكن عكس ذلك ظاهراً في ابن الرشيد. فقد سمع الخبر فكترث به ظاهرا وضرب له قال: ارقبة محجرة واهلها مقيمون، اي انه يستطيع اي يوم يشاء ان يخرج ابن سعود من الرياض. لذلك لم يتزحزح من الحفر فاقام هناك اربعة اشهر يفاوض الترك في بغداد وهو يعلل النفس باحتلال الكويت.

وكان الترك يرحبون برسله وهداياه، ويعدونه بالمساعدة ويتقاعسون. تذكر ان الحملة التي ارسلوها مرة على الشيخ مبارك ظلت ستة اشهر في الطريق من بغداد الى الزبير. وقد اشرت الى السبب بل السببين في ذلك. ناهيك بانه لم يكن للدولة آنئذ في ابن الرشيد الغرض الذي ولدته الحوادث في ما بعد. بل كانت أميل الى مبارك وهو على البحر منها الى امير في داخل البلاد العربية.

ولكن مباركاً والى الانكليز، ودعاهم الى بلاده، فاستحق لذلك اهمال الدولة بل نقمتها. وبما انها كانت عاجزة عن اظهار تلك النقمة في مظهر من القوة يليق بعظمتها، فقد اكتفت بان اظهرت ولاءها لابن الرشيد، وتأذن له بان يفاوضها في محاربة ابن الصباح. وقيل ان الحكومة البريطانية كانت تضغط عليها لتمنعها من مساعدة ابن الرشيد

مساعدة

مساعدة حربية. ولا غرو، فالسبب في ذلك السبب المعروف آخراً انها بعد ان استقرت في الكويت، وتعاهدت وابن الصباح، اصبحت حامية لبلاده.

الشيخ المبارك المسعد! فقد حماه الانكليز من البحر وحماه ابن سعود الشاب من البر. كيف لا وهو يشغل عنه عدوه ابن الرشيد. — ولدي عبد العزيز تولاك الله، وعافاك، وقواك، وجعل النصر دائماً اخاك! ارسل مبارك يرش ولده ويبارك له، ثم بعث اخاه سعد بن عبد الرحمن بالنجدة التي طلبها.

وشرع عبد العزيز الى غرضه فاستولى اولاً على النواحي الجنوبية اي الخرج والحوطة والحريق والافلاج والدواسر. اما النواحي الشمالية مثل الشعيب والمحمل والوشم وسدير، فظلت في حوزة ابن الرشيد مع انها كانت موالية لابن سعود.

١٣٢٠هـ
١٩٠٢م

في اوائل هذا العام اغار عبد العزيز مرتين على ~~[illegible]~~ قبائل من قحطان كانت نازلة حلبان (١) في اطراف نجد فأخذهم، ولكنه مرض في الغزوة الثالثة وهو على ماء الحسي شمالي ~~فعاد الى الرياض~~، ثم خرج اخوه محمد غازياً الفخذة من عتيبة يرأسهم ابن ربيعان وهم في مكان قرب الشعري (٢)

اما عبد العزيز بن الرشيد فلما يئس من مفاوضات الترك وبان له من "امر الارنبة الحجرة" ما لم يكن ليخطر في باله، امر بشد الرحال وأسند

---

(٢) لكي يدرك القارئ شيئاً من مشقات الغزو عند العرب يجب ان يعلم مقدار المسافات التي يقطعونها غازين. فالمسافة بين الرياض مثلاً ووادي الدواسر هي الخمسمائة ميل اي مسيرة عشرة ايام ومثل ذلك تقريباً بين الرياض والشعري.

(١) العرب يلفظونها حلبان

(العرب يقولون سنّد)(1) عائداً الى حائل، فعبّأ جيشاً جديداً من شمّر والقصيم وسدير والوشم، وزحف به في ربيع الاول من هذا العام قاصداً الرياض.

فلما علم ابن سعود بذلك ارسل الى ابيه في الكويت يقول ان الحرب قائمة، وان الاستيلاء على الرياض يقتضي ان يكون هو اي الامام عبد الرحمن فيها. جاء الوالد مسرعاً ولم يمنعه الاسراع من ان يغزو في طريقه قبائل من الضفير وشمّر الموالين لابن الرشيد. وخرج عبد العزيز ورجاله فساروا مسافة ثلاثة ايام ليستقبلوا الامام الذي دخل الرياض دخول الظافر، وكان قد خرج منها منذ احدى عشرة سنة مهاجراً.

ثم حدث خلاف بين الاب والابن نادر المثال. فقد ارسل عبد العزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول: الامارة لكم وانا جندي في خدمتكم. فجمع الوالد العلماء واعلمهم بالامر، ثم ارسل الى ابنه الصغير يقول: اذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض لأتولى الامارة فيها فهذا غير ممكن، ولا اقبله مطلقاً، ولا اقيم في البلد اذا الححت به.

تدخل العلماء في الامر فقالوا لعبد العزيز: على الابن ان يطيع اباه. وقالوا لعبد الرحمن: انت كوالد عبد العزيز رئيس عليه، وبالتالي على اهل نجد. فقال عبد الرحمن: ولكن الامارة له.

فقال عبد العزيز: اني قابلها بشرط ان يكون والدي مشرفاً على اعمالي دائماً فيرشدني

---

(1) المسافر [illegible] من الرياض الى القصيم او من الكويت الى حائل يسند، اي يسير مصعداً، وفي عكس ذلك ينحدر اي يسير نازلاً.

فيرشدني الى ما فيه خير البلاد، ويردكني بما يراه مفيداً في مصالحها.

كذلك تمت البيعة لعبد العزيز. وكان يومئذ بحيث ابن الرشيد نازلاً في رغبة(١) من بلدان المحمل وقصده محاصرة الرياض، فارسل سالم السبهان بالجيش من قحطان الى ضرما ليهجم عليها من الجنوب الغربي. وأمر الحازمي مندوبه في الحسا بان يستنهض العجمان وآل مرة بمؤازرة الحكومة فيهجمون من الشرق الجنوبي.

ولكن ابن سعود ارسل اخاه محمداً وابن عمه عبدالله جلوي الى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة، فظفرا بسالم يطرده والحازمي والترك واعوانه. وقد علم ابن الرشيد ان كثيرين ممن كان يظنهم من اتباعه قد انضموا الى ابن سعود، فاقام شهرين في رغبة وهو يعجز عن الهجوم على الرياض. ثم رحل الى الحسي(٢)

~~فاقام هناك اسبوعين يختط خطة جديدة، فاعتزم الرحيل الى الحفر ليحول~~ دون تموين العدو من الكويت.

~~لكل امير من امراء العرب دائرة استخبارات هي اهم دوائره وهي غالباً الدائرة الوحيدة في امارته. ولكن العرب يسمون الاعور اعور في اكثر احوالهم.~~ قال ~~جلالة الملك~~ عظمة السلطان عبد العزيز ~~وهو يروي هذه الحوادث~~: فلما علم ابن سعود من جواسيسه، عندما جاءته الاخبار ان ابن الرشيد ينوي ان يصادر الارزاق التي تجيء الى نجد من الكويت والحسا تذاكروا وآله فاقر الرأي ان يحتالوا على العدو بحيلة تقربه منهم فيستلمون واياه ويقضون عليه ادفي الاقل

يحولون

---

(١) رغبة هي على مسافة ستة عشر ساعة من الرياض شمالاً.

(٢) الحسي هي على مسافة اثني عشر ميلاً جنوبي رغبة.

يحولون دون تنفيذ خطته .

خرج عبد العزيز من الرياض ووجهته الجنوب ثم سار شمالاً الى مناخ ابن الرشيد كمن اشاع ان ابن سعود خائف من خصمه وانه فر هارباً . فلما سمع ابن الرشيد ذلك شد الرحال مسرعاً وادرهم (٢) فنزل على ماء بنبان وهو ماء لم يكن بينه وبين الرياض غير عشرين ميلاً او اقل ثم جاءه الخبر اليقين وهو ان الرياض محصنة وان ابن سعود في حائر (٤) سبيع بالخرج فامسى في حيرة مزعجة ابت عليه التقهقر وحالت دون الهجوم .

وكان لابن سعود سرية في الدلم عاصمة الخرج بقيادة احمد السديري فأمره ان يتأهب للزحف معه الى الرياض اذا هجم ابن الرشيد عليها . اما اذا تجنبها ومشى الى الخرج فاهل الرياض يتعقبونه بالسلاح وعبد العزيز يرجع الى السديري في الدلم . بعد هذا التدبير وكل عبد العزيز بن جلوي بمن كان معه من الجنود فاقام في علية وهو ضلع حصين بين الحريق والحوطة قريب منهما . ثم ارسل اخاه سعداً الى الحريق يستنجد اهلها وراح هو للغاية نفسها الى الحوطة فبلغه في اليوم الثاني هناك خبر هجوم ابن الرشيد على الدلم — طاح في الشرك الذي نصب له ! فبادر ابن سعود الى ذلك المكان .

جمع جيوشه من اهل الحوطة والحريق فبلغوا مع من كانوا في ضلع علية الف وخمسمئة مقاتل . اجتمعوا في ماوان على مسافة عشر ساعات من الخرج

---

(٣) درهم يدرهم من اصطلاحات اهل نجد والدرهام سير سريع بين الخبب والغارة

(٤) المسافة بين الرياض وحائر سبيع هي ثلاثون ميلاً وبين الرياض والدلم ثمانون ميلاً

(٣) بنبان هو [illegible] سبع ساعات [illegible] .

الخرج، واسروا فوصلوا الى الدلم قبل انبثاق الفجر. وكان ابن الرشيد قد نزل في نعجان على مسير ساعتين من البلد، فلم يدر به فور ابن سعود اليها. على انه في عصر ذلك النهار ارسل سرية مستكشفة فخرجت لها خيل ابن سعود، فتهاجم الفريقان وتطاردا، فانهزمت خيل ابن الرشيد.

كثيراً ما تكون الحرب عند العرب مناورات ومجاولات، وهم لا يسرعون الى الملحمة التي تطيح فيها الرؤوس. ولكنهم يسيرون اليها على طريقتهم سير الهوين، وهم يغزون، ويعترضون، ويناوشون، ويتقهقرون. اما ان الحرب خدعة فكلهم يعرفون الآية ويؤمنون بل يعملون بها.

في فجر اليوم التالي راح ابن سعود يكمن لابن الرشيد، وكان قد علم ان من عادته ان يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم فيطوفون في بساتين الخرج يرعون ابلهم ويقطعون النخيل. وكان ابن الرشيد أحس ان خصمه في الدلم فلم يخرج كعادته باكراً، فارسل ابن سعود خيالة مستكشفين، فعادوا يقولون انه متحصن في نعجان. ولم يكن لابن سعود ان يهاجمه في النهار، لان خيله قليلة، ولان الهجوم يبعده عن الحصون.

ولكن الكشافة لم يصدقوا اميرهم الخبر لانهم لم يصلوا جبناً او جهلاً الى مكان الاستكشاف. فبعد ان عاد ابن سعود الى البلد بلغه الخبر ان ابن الرشيد قد خرج على عادته يجول في النخيل فبادر بقسم من جيشه اليه.

وكانت المواجهة الاولى بين الخصمين خارج الدلم وسط النخيل، فتواجها

واحتربا

واحتربا، فكانت الوقعة شديدة، واستمرت ست ساعات حتى غروب الشمس. ولكنها لم تسفر عن شيء كبير. فقد اسر رجال ابن سعود جماعة من رجال ابن الرشيد يدعون باهل لبده محصودهم في القصر ففروا منه في المساء وطارد ابن سعود ابن الرشيد فتقهقر الى معسكره.

ولكن الذخيرة لم تكن متوافرة عند ابن سعود فنفدت او كادت في تلك الوقعة، فارسل يطلب قسماً من الحوطة. اما ابن الرشيد فشد في اليوم التالي الرحال وسار جنوباً الى اسفل الخرج فنزل السلمية التي تبعد ساعات عن الدلم، فتعقبه ابن سعود بعد وصول الذخيرة ونازله في السلمية فاخرجه منها.

ولكنه لم يتمكن من تعقبه فادراكه، لقلة خيله وركائبه، ولكثرتها مع ابن الرشيد. فقد كان جيش الشمري مؤلفاً من اربعة الاف ذلول واربعمئة خيال، بيد ان الجيش السعودي لم يكن يتجاوز الالفين ولم يكن فيه غير اربعين من الخيل. ومع ذلك فقد انهزم ابن الرشيد في الخرج وثبتت سيادة ابن سعود فيه، بل في النواحي الجنوبية كلها.

الفصل الرابع

الاستيلاء على القصيم

لم يغير فوز ابن سعود في الخرج موقف الترك تجاه ابن الرشيد وابن الصباح فظلوا يحابون هذا ويعللون ذاك بالوعود. ومع ذلك فقد عاد ابن الرشيد الى الحفر بعد تلك الهزيمة واستأنف الغزو، فأغار على عُرَيْبدار قرب الكويت، وعلى سبيع في الدهناء، وعلى عتيبة قرب الارطاوية(١). ثم باشر محاصرة الكويت فارسل الشيخ مبارك يعلم "ولده" عبد العزيز بذلك ويستنجده. والدهر في الناس قُلَّب .... فقد صار منجداً من كان بالامس مستنجداً.

وكان عبد العزيز بعد شهر اقامه في الرياض قد غزا عرب مطير في الصمان، وعتيبة في عرق رغبه بين الوشم وجبل طويق. مما يدل على ان الزعامات او المصالح بدأت تشق القبائل فصار قسم منها يدين لابن سعود، وقسم لابن الرشيد. فيغير هذا على عتيبة مثلاً السعودية ويغير ذاك على عتيبة الموالية لابن الرشيد.

ولبى عبد العزيز دعوة الشيخ مبارك فسار فزعاً الى الكويت بجيش لا يقل عن العشرة الاف، وهو الذي خرج منها باربعين ذلولاً اجرب منذ سنتين، فرحبت الكويت به وهللت له، وانضم منها الى جيشه ما كان قد جنده مبارك بقيادة جابر بن الصباح. فخرج الاثنان (جابر وعبد العزيز) غازيين طالبين ابن الرشيد.

زحف هذا الجيش الجرار المؤلف من قبائل الحسا كلها — من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع والسهول — البالغ عدده اربعة عشر الفاً منهم

(١) لم تكن تأسست هناك البلدة التي تدعى بهذا الاسم

ولكنهم أخبروا

منهم اربعة الاف خيالا وومرتبهم الخبر. فأخبروا في الطريق ان ابن الرشيد قد عاد الى

بلاده، فعجبوا لذلك على مطير في الصمان فنجوهم عن بكرة ابيهم وغنموا اموالهم

وارزاقهم كلها – ذبحناهم واخذنا حلالهم! (استعجبهم)

على ان حلاوة هذا النصر لم تدم طويلا، فقد بلغهم

ولكن حلاوة هذا النصر وهذه الغنيمة انكدرت عليهم عندما وصلوا الى ماء

النقيا وهو الذي منهم

طوال فبلغهم الخبر ان ابن الرشيد – وهو يحسن الخدعة – لم يرجع الى بلاده بل

يبغي محاصرتها، وقد مر

الى

زحف جنوبا وهو يقصد محاصرة الرياض فضربهم وضمهم الى جيشه ثم تقدم

في طريقه بعربان من السهول

١٣٢١ هـ	
١٩٠٢ م	

فلما دنا منها عسكر عنه

مسرعا وهو ينوي ان يفاجئ العاصمة بالهجوم عليها ليلا. ولكنه عندما

بدعي ضلع الإمام حمروش (واهل نجد يلفظونه نخروق)(1) دون ان يعلم بذلك احد من اهل المدينة، ولكنه عندما

مشى الليل واصبح في ظلال نخيلها شرد رجل من السهول الكارهين ودخل يصيح بالناس:

العدو قرب نتكم! العدو عند السور!

فخرجوا على اثره فاصطفوا لابن الرشيد

ونهض الامام عبد الرحمن باهل الرياض للدفاع اذ ذاك

خارج السور فردوه خائبا فنقل معسكره بعد ذلك من نخروق الى نخيل بعيد ساعة عن المدينة)

وبارزوه

وأقام هناك ثلاثة ايام دون ان يأتي بحركة.

ثم بلغه ان عبد العزيز بن سعود زاحف الى القصيم فشد الرحال مسرعا ومشى

الى الوشم عن طريق خرما. وكان الامام عبد الرحمن قد ارسل

(1) هل نجد يلفظونها نخروق وهذا الملك

(1) الضلع هو على مسير ساعة من الرياض وفيه غار يخرج اليه للنزهة

كرية

ثم زحفت الى

سرية (١) بقيادة مساعد بن سويلم فاستولت على المجمل والشعيب ثم ~~قصدت~~ شقرا

التي كان فيها اميرا لابن الرشيد اسمه الصويتع، فلما دنا مساعد من البلد رحل الصويتع الى

على شقرا

الى ثرمدا، فاستولى مساعد ~~عليها~~ برضى اهلها، ثم هجم على ثرمدا فادرك الصويتع فيها

فقتله، والقى القبض على العنقري اميرها وارسله الى الرياض.

ولم يكن ابن ابن سويلم بطيئاً في تعقيبه فقد هجم عليه في ثرمدا فاخرجه منها،

~~وما لبث ابن [illegible] الرشيد ان جاء فاخرجه من [illegible] فراح [illegible] يتحصن في شقرا فتعقبه~~

فراح يتحصن في شقرا، فتعقبه وحاصره فيها

~~وحاصره فيها~~.

اما عبد العزيز بن سعود فقد عاد بعد غزوة مطير الى الكويت، فجاءه وهو هناك البشير

من والده يخبره بهزيمة ابن الرشيد في هجومه على الرياض، فاطمأن باله واهتم في نقل عائلته

التي كانت لا تزال في الكويت، فعاد بها الى الرياض.

وما كاد يصل الى العاصمة حتى علم ان ابن الرشيد محاصر شقرا وفيها مساعد

~~بن ...~~

ابن سويلم، فاستراح ~~عبد العزيز~~ يوماً واحداً وشد للنجدة، فلما وصل الى حريملا علم ابن

وما عبد العزيز

الرشيد بذلك ففك الحصار ورحل الى الغاط (٢).

استمر زاحفاً

مشى عبد العزيز الى شقرا فاحتلها. ولكن سرية ابن الرشيد بقيادة احمد العسكر

امير المجمعة كانت لا تزال في ثرمدا، فارسل عليها عبد الله بن جلوي، فاعطى عبد الله

اهل البلد الامان فابوا الا القتال، فقاتلهم ودحرهم. اما السرية فتحصنت في القصر، فامر

عبد الله بمهاجمتها ليلاً، فكانت النتيجة ان قتل عدد منها ولاذ

~~فهوجمت ليلاً فقتل عدد منها وفر الاخرون~~.

الاخرون بالفرار

---

(١) السرية من المئة الى الخمسمئة خيال

عندما

(٢) ~~[illegible]~~ الغاط من بلدان سدير وهي تبعد عن المجمعة قاعدة تلك الناحية عشرين ميلاً

عندما سلمت ثرمدا لعبد الله بن جلوي رحل ابن الرشيد من الغاط ~~وجهته~~ وجهته القصيم .

ولكنه ترك سريتين في سدير الواحدة في المجمعة والاخرى في الروضة فارسل

~~ابن سعود~~ عبد العزيز سرية ~~عليه~~ عليهما بقيادة خاله احمد السديري فنازلت سرية الروضة فدحرتها

وشتتها واستولت على البلد . ثم مشت في سدير ظافرة فاستولت على بقية بلدانه

ماعدا المجمعة التي حافظت على سيادة ابن الرشيد فيها وقد دافعت عنها دفاعاً شديداً .

ولكن ~~ابن سعود~~ عبد العزيز قنع يومئذ بما حاز من النصر فترك سريتين اخريين الواحدة في الروضة

والثانية في جلاجل وأمّر السديري في شقرا ثم عاد الى الرياض .

كل هذه الحوادث - هذه الغزوات والغارات - حدثت في برهة سنة بعد سقوط الرياض .

فلم يكن عبد العزيز ومسيته الشهري ليستريحان الا قليلاً في الفترات القصيرة التي هي

هدنات اضطرارية .

عاد ابن سعود الى الرياض بعد فوزه في الوشم وسدير ~~ولكنه لم يقم فيها شهراً كاملاً~~ ليقيم الشهر هناك

~~جاءه الاخبار ان~~ حتى جاءته اخبار وفيها ان ابن الرشيد خرج من القصيم غازياً وقصده الهجوم على عتيبة وقحطان

(بعد استيلاء ابن سعود على سدير والوشم اصبحت هاتان القبيلتان من قبائله) فحاصر

التويم قرية من قرى سدير .

خرج ابن سعود مسرعاً من الرياض وكان قد امر اهل الوشم بان ~~[illegible]~~ يبادروا مع

احمد السديري الى انجاد سدير فلما وصل الى ثادق علم ان ابن الرشيد لم يفز بشيء

في غزوته

في غزوته وحصاره بل انه انهزم وشرّق فنزل ماء ستمال الارطاوية. اما المجمعة قاعدة سدير فكانت لاتزال في حوزته وله سرية فيها.

سار ابن سعود من شادق الى جلاجل فاقام فيها عشرين يوماً وهو يعد القوة للحرب في القصيم فبلغه وهو هناك ان ابن الرشيد قد عاد الى تلك الناحية ماراً بالزلفي فزحف بجيشه الى المجمعة واتفق واهلها على ان يسلموا له اذا استولى على القصيم

وكان جيش ابن سعود يومئذ مؤلفاً من سبعة الاف من المشاة ليس معه ابعيرة دلول ولا خيل البتة. فمشى بذلك الجيش الى الغاط وسرح الى الزلفي فارسل الى الشيخ مبارك يسأله ان يرسل اليه من كان عنده من اهل القصيم مثل آل الخيل وآل سليم امراء بريده وعنيزه وما يستطيعه من نجدة فارسل مبارك اولئك الذين كانوا مستبعدين في الكويت بعد وقعة المليدا ومعهم مئتان من الرجال فقط.

وكانت تلك السنة قليلة الامطار فضاق العيش بسكان الزلفي وبالتالي بالجيش فصاروا ياكلون حتى رؤوس النخل اي لبها. ولم يكن يستطيع ان يسير بجيشه الى القصيم(١) لقلة الزاد والركائب وليس في الطريق بلد يأوون اليه. ناهيك بأن ابن الرشيد كان مستولياً على بريده بل على القصيم اجمع. فارسل ابن سعود الى بعض الموالين له هناك يطلب منهم ان يؤلفوا سريات تهجم على بعض البلدان تمهيداً لدخوله — تفتح له الباب — فلم يجيبوه لانهم كانوا يعلمون انه لا يستطيع الهجوم على القصيم ولا البقاء في الزلفي لشدة القحط وضيق العيش فيها فعاد الى الرياض.

اما ابن الرشيد

---

(١) الزلفي هي على مسافة مئة ميل من عنيزه وبينها النفود

اما ابن الرشيد فرحل من القصيم قاصداً البطينيات عله يظفر هناك ببعض عربان

ابن سعود، فاقام على ذلك الماء عشرة ايام وارسل اربعمئة من رجاله بقيادة ماجد

آل حمود بن الرشيد الى جهة عنيزة، وثلاثمئة بقيادة حسين بن جراد الى السر

ثم انحدر الى اطراف العراق ليستقر شهراً هناك ويستنجد الاتراك.

١٣٢١

فلما علم ابن سعود في شهر ذي الحجة بارتحال ابن الرشيد الى العراق شد مسرعاً

ذي الحجة سنة هذا العام

١٣٢١
١٩٠٣

من الرياض، ووصل السر بالسري فالتقى في ١٨ منه بحسين بن جراد في السر

وبادره القتال فقتله وجميع من معه الا قليلاً وغنم امواله وارزاقهم كلها.

تدعى هذه الوقعة بوقعة ابن جراد، وقد كان من نتائجها ان قسمت قبائل حرب المقيمة

بين السر والقصيم والتي كانت كلها تابعة لابن الرشيد فانحاز قسم منها بعد الوقعة

الى ابن سعود.

بعد ذلك عاد عبد العزيز الى الرياض فاقام فيها شهر ذي الحجة ثم مشى في آخر

الشهر الى الغرض الاكبر فارسل الى اهل القصيم في شقراء يأمرهم بان يوافوه الى ثادق لانه

يريد ان ينحدر الى الكويت.

شاع هذا الخبر، فترك عبد العزيز ثقيل احماله في قصر الجريفه من قصور الوشم وراح

بجيشه يدهم قاصداً ماجد بن الرشيد في القصيم فلما وصل الى ماء الشيحية في

وسط النفود علم لبعض من كان معه من البادية انه يريد ابن الرشيد فشردوا

الى

فأبى ابن سعود بذلك بل استمر سائراً او بالحري مسرياً فضل الدليل وتاهوا في النفود

طيلة ذاك الليل فخرجوا منه في النهر ثم خرجوا منه فاذا بكشافة لماجد على حواشيه.

نزل ابن سعود في ذاك النهر قصر الحميدية من قصور عنيزه وهو على مسير اربع ساعات

منها ثم تقدم في اخر النهار فوصل الى نخل من نخيل المدينة قريب منها فعسكر هناك.

وامر من كان معه من اهل القصيم وفيهم آل سليم ان يهجموا على اهل عنيزه في تلك الليلة.

يومئذ

وكان لبعض الزعماء فيها مثل آل يحيى وآل بسام مع ابن الرشيد وعندهم سرية من

سراياه رئيسها فهيد السبهان اما ماجد فكان نازلاً عند باب المريقب.

ومن اهلها

عندما هجم اهل القصيم على عنيزه اصطدموا بطلائع ابن الرشيد من شمر واهل البلد

واستمر القتال السعوديون المدد

فتلاحم الفريقان فقتل فهيد السبهان ولم يسلم رجاله فطلب رجال ابن سعود النجده

وكان عبد الله البطل [illegible] عبد العزيز

ثلاثين من رجاله بقيادة عبد الله بن جلوي

فارسل اليهم [illegible] فلما سمع اهل عنيزه بالنجده سلموا

اشتهر بالبسالة والبطولة فلما سمع اهل عنيزه بالنجدة التي جاء

مسعودها سلموا حالاً لآل سليم

لآل سليم ومن معهم

اما ابن سعود فركب بعدما صلى الفجر على راس سرية من الخيل و "نحر" المكان الذي

كان فيه ماجد بن الرشيد فلما رأى ماجد خيل ابن سعود لاذ بالفرار، فتعقبه واستولى

على مركزه بعدما قتل اكثر قومه وفيهم اخوه عبيد.

ثم عاد ماجد ومعه بضعة وعشرون من الخيل والركائب وفيهم نفر من آل سعود

الذين كانوا منفيين في حائل فدفعوهم ولم يقتلوهم بل عقروا خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم،

وهم اثنا عشر من آل سعود

جاء بهم لرد العدو المنتصر لانه اذا عرفهم

فاسروا

بمنع عنه القتال كي لا يقتل احداً منهم ولكن عبد العزيز

عند ما عرف أهله – قد سمّوا عند ذاك باسم «العرايف» –
أمر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم. ولذلك كانت
~~فاسروا اذ ذاك سعود بن العزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد واطلقوا عليهم منذ~~
فقد فازوا يومئذ، بعد عقر الخيل أثناء المعركة، بسعود
~~ذلك الحين اسم «العرايف» – «العرائف» لان اهلهم عرفوهم وهم في صفوف العدو.~~
بخلاصهم من القتل ومن الأسر.

في انذحار ماجد بن الرشيد وفراره الى حائل تم فتح عنيزة وذلك في ٥ محرم

١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م	من هذه السنة (٢٢ آذار) فدخلها ابن سعود واقام فيها ايامًا ثم شد على

بريده فسلمت المدينة في ٧ محرم. ولكن امير ابن الرشيد والحامية فيها تحصنوا في

القصر وابوا التسليم فحاصرهم ابن سعود فثبتوا شهرين في الحصار ثم سلموا في

١٥ ربيع اول. وقد تم في تسليمهم الاستيلاء السعودي على بريده وعنيزه

وبالتالي على القصيم.

يدرج

بعد انذحار (٢٢ آذار) من هذه السنة

١٣٢٢هـ ١٩٠٤م	في ٥ محرم ماجد بن الرشيد وفراره الى حائل، ثم فتح

عنيزة فدخلها ابن سعود، واقام فيها بضعة ايام،
ثم شد على بريدة فسلم [illegible] اهلها. ولكن امير
ابن الرشيد والحامية فيها تحصنوا بالقصر [illegible]
فحاصرهم ابن سعود، فثبتوا شهرين في الحصار، ثم
سلموا في ١٥ ربيع اول، فتم في تسليمهم الاستيلاء
السعودي على بريدة وعنيزة، وبالتالي على القصيم اجمع.

(١) اذا خسر البدو في الغزو جمالهم ثم استعادوها فهم يسمونها العرائف - مفردها عرافة - اي المعروف . فاطلق ابن سعود الاسم على ابناء عمه هؤلاء.

الفصل الخامس

البكيرية

ان اطول واد في البلاد العربية هو وادي الرمة الذي يمتد مشرقاً من حرة خيبر الى الرس ثم شرقاً بشمال الى البصرة. وهذا الوادي يخترق بلاد القصيم بين عنيزة وبريدة فيشطرها شطرين: الشطر الغربي الشمالي والشطر الجنوبي الشرقي. وفي الشطر الاول بين بريدة والرس بضعة بلدان منها البكيرية (١) والشيحية (٢) والخبراء التي يهمنا الان ذكرها. في ذاك المنعطف من الوادي تنازع ابن سعود وابن الرشيد السيادة في القصيم في تلك الزاوية التي يمتد ضلعها بضعة وخمسين ميلاً من الرس الى بريدة ميدان القتال الاول الذي سنروي خبره الان. هناك احترب الفريقان ومع احدهما عساكر الدولة العلية والطوابع [illegible?] واقتتلا في وقعات عدة تعرف عند اهل نجد بوقعة البكيرية ووقعة الشنانة.

ذكرنا في الفصل السابق ان عبد العزيز الرشيد بعد توزيع قواته في نجد والقصيم سافر الى العراق ليستنفر عرب شمر هناك وليستنجد الاتراك. وكان الدولة ادركت آخراً حقيقة الحال في نجد واوجست خوفاً من امتداد سيادة ابن سعود في البلاد فاصاخت هذه المرة لابن الرشيد وامدته بنجدة مؤلفة من احد عشر طابوراً واربعة عشر مدفعاً وشيء كثير من الذخيرة والمؤنة والمال. أضف الى ذلك من نفروا الى نجدته من بادية شمر وعددهم

وقد صادف ابن الرشيد جمال "العقيلات" (1) المحمل

---

(١) اسست في سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م

~~بعقل~~

(٢) اسست في سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٧ م

(1) الشرح في الصفحة التالية

ليس بقليل. وقد صادر ابن الرشيد جمال "العقيلات"(١) لتحمل الاثقال وبعد اتيانه الى القصيم

عند ما سلمت السرية التي كانت محاصرة في قصر بريدة أمّن ابن سعود رجالها على حياتهم

وأذن لهم بالرجوع الى بلادهم. وقد اتفق ان ابن الرشيد كان قد وصل بومئذ بجيشه الى

القصيبة وهي على مسافة ثلاثين ميلاً شمال عنيزة فالتقى هناك بأولئك الرجال رجاله

وهم عائدون الى حائل، فاخبروه بما جرى وان ابن سعود في بريدة. فاستمر ابن الرشيد

سائراً ليهاجم على المدينة من الجهة الغربية، ونزل القرعا على مسافة خمسة عشر ميلاً

منها.

اما ابن سعود ~~فكان ما علم بذلك اخلى بريدة~~ فقد اخلى بريدة عندما علم بذلك ونزل البصر خباً من خبوب القصيم(٢)

فنقل ابن الرشيد من القرعا الى جهة من البكيرية ثم نقل ابن سعود الى الجهة المقابلة لها. اوذاك

وفي ذلك اليوم بل في ~~الليلة~~ الليلة الاولى منه هلال الربيع الثاني من هذه السنة المصادفة

١٣٢٢ هـ
١٩٠٤ م

الجيوش صدمة شديدة هائلة فالتحموا وتجالدوا بضع ساعات وكانت خسارة

الفريقين عظيمة.

ثم تواجه في تلك الليلة عسكر الدولة وفيه كثيرون من السوريين والعراقيين(٢)

بعسكر ابن سعود الحضر اي باهل العارض، فاطلقت البنادق والاطواب ولعبت في نور الهلال

السيوف وكانت المذبحة هائلة. قتل من جيش ابن سعود تسعمئة ونيف وهم محمد

القتيل

(١) العقيلات من يتجرون بالجمال يجيئون بها من نجد الى بر الشام

(٢) الخب منخفض من الارض بين كثب من الرمال فيه ماء ونخيل

(٢) اخبرني تحسين باشا العقيد انه كان ضابطاً في تلك الحملة فحارب ابن سعود في وقعة البكيرية. ومن غرائب الاتفاق والتاريخ انه بعد عشرين سنة حارب ابن سعود ثانية في الحجاز. فقد كان تحسين باشا قائد الجيش الحجازي او بالحري قائد الفرقة السورية الفلسطينية التي كانت تدعى بفرقة النصر — فرقة النصر التي لم تنتصر

بسبعة

ستمئة وخمسون من اهل الرياض، وقتل من جيش الدولة نحو الف وفيهم اربعة من كبار الضباط، وعشر

وقتل من اهل حائل نحو ثلاثمئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر.

وفي تلك الوقعة أصيب عبد العزيز بن سعود بشظايا قنبلة شوهت يده اليسرى، ووقع ابن الرشيد من فرسه فطاحت الفرس فوقه فآلمته ولم تقعده. اما اهل القصيم وعرب مطير فقد هجموا بقيادة عبد العزيز جلوي على جناح العدو فبعجوه، ثم اغاروا على بادية شمر فغنموا ازوادهم ولكن الشمريين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فنهبوه. واحدة بواحدة. لم تمل كفة الميزان كثيراً ان في الغنائم وان في القتلى الى احدى الجهتين في هذه الوقعة الكبيرة. على ان قوات ابن الرشيد على رغم الخسارة ظلت متماسكة.

قال السلطان عبد العزيز: "رحنا انا وعشرين خيالاً – اخذ الترك خيامنا وهجم البدو على الترك فاخذوا خيامهم وهربوا!"

فسألت ~~السلطان~~ عظمته: "الى اين رحتم؟"

فاجاب ضاحكاً: "انهزمنا هرباً."

على ان اهل القصيم عندما عادوا من اغارتهم على بادية شمر، جاءوا مركز ابن سعود فوجدوا فيه المدافع وثلاثمئة من عساكر الترك فتواقعوا واياهم وقتلوهم، فغنموا المدافع

وطلبوا [illegible] في البكيرية. ولكنهم عندما طلبوا عبد العزيز ولم يجدوه هناك تركوا

حملوا الاسلحة الخفيفة

تركوا ~~المدافع واخذوا الاسلحة~~ وعادوا الى بلادهم اي الى بريدة وعنيزة.

أُشكل الامر على عبد العزيز فأحب ان يمتحن اهل هاتين المدينتين ليتأكد اذا
كان لهم رغبة حقيقية في محاربة ابن الرشيد فارسل اليهم يقول: اثبتوا في مكانكم واني
مستنفع اهل نجد وراجع سريعاً اليكم. فكتبوا اليه وكان اهل عنيزة اشد الحاحاً يقولون:
اذا انت رحلت فلا نستقيم من بعدك. واذا رجعت الينا فنحن نساعدك في السراء والضراء
- نقدم النساء واموالنا واولادنا بين يديك اي والله نحمي اوطاننا او نموت جميعاً.

رجع ابن سعود الى عنيزة فخرج اهلها اليه يستقبلونه مغتبطين وأخرجوا المخدرات
فرحين به مزغردين، وكانوا عند قولهم في ما قدموه من مال ورجال للحرب.

وعندما بلغ اهل نجد خصوصاً بوادي عتيبة وحضر هذا الخبر جاءوا كلهم متطوعين
مجاهدين، فاجتمع لدى ابن سعود في برهة ستة ايام في عنيزة اثنا عشر الف
مقاتل، فبادر بهذا الجيش الى البكيرية ليهجم على ابن الرشيد فيها ولكن ابن الرشيد كان
قد رحل منها في اليوم السابق وهجم على الخبراء وفيها سرية لابن سعود.

دافع اهل الخبراء عن بلدهم مع الجنود الحامية دفاعاً شديداً، وبالرغم عن المدافع التي
ظلت تطلق قنابلها على البلد طيلة ذلك النهار لم يسلموا. ولكنهم وقعوا في قبضة
عدو جديد فعلموا لاول مرة في حياتهم ما هو الهواء الاصفر ~~(الوباء الكوليرا)~~ (الكوليرا)، وكان قد سرى اليهم من جيش
ابن الرشيد ~~قد~~ فتفشى فيه من اختلاطه بعسكر الدولة. وقد قيل ان الهواء الاصفر لم
يكن ببغداد

قبل ذلك الحين بنجد:

يكن معروفاً سابقاً بنجد.

عندما علم ابن الرشيد رجف ابن سعود الى البكيرية التي كانت المركز العام للجيش وفيها مؤون وذخائر كثيرة ارسل اليها سرية الكبرى - الف وخمسمئة خيال - بقيادة سلطان بن حمود الرشيد فتصادموا وخيالة ابن سعود ستمئة وخمسين - عند انبثاق الفجر قرب البكيرية وكانت الهزيمة على الرشيديين.

دخل ابن سعود البلد فهتك بحامية ابن الرشيد فيها فقتل اكثر رجالها واما الباقون فلاذوا بالفرار. ثم طاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى الخبراء فرحل ابن الرشيد منها الى الرس فهجموا على الرادية وغنموا عدداً كبيراً من الابل. ثم تقدموا الى الرس فاحتلوها وكان ابن الرشيد قد نزل الشنانة على مسافة ساعة جنوباً منها نصب هناك مدافعه وشرع يضرب الرس كما ضربها ابراهيم باشا في طليعة القرن الماضي فدافع اهلها على عادتهم حتى الرمق الاخير. قتل احد منهم ولم يسلموا.

وقد اقام ابن سعود ثلاثة اشهر الاخيرة منذ منتصف ربيع الثاني حتى منتصف رجب فيما كان ابن الرشيد في الشنانة. وكانوا يتناوشون ويتهاجمون ويتطاردون كل يوم فمل اهل نجد هذه الحال وخافوا ان يسري اليهم الاذى فرفعوا اصواتهم متذمرين شاكين.

فارسل ابن سعود رسولاً من كبار بريدة اسمه فهد الرشودي الى ابن الرشيد يدعوه للصلح.

فضحك ابن الرشيد وقال متهكماً متهدداً: من يبغي حكم نجد لا يتضجر وهل يصالح من بيده قوة الدولة؟ لا والله - لا صلح قبل ان اضرب بريده وعنيزه والرياض

ضربة

ضربة لا ينساها مدى الدهر. وانتم يا اهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود. لا يغرنكم شاب [illegible] طائش يبعثر الدراهم ليأخذها لانه الفقيرة.

رجع فهد الرشودي يحمل هذا الكلام الى ابن سعود، فالقاه في مجلسه دامع العين، ثم قال: والله يا اهل نجد ما رأيت هناك الا ظالما عتيا كفرعون، ولا يبغي لنا غير ما كان فرعون لبني اسرائيل.

وكان الرشودي رجلاً حصيفاً رصيناً ~~كلمته تأثير حسن في~~ يكرمه الناس. ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت، ولم يبق لديه غير ثمانمئة من الحاضرة وثلاثمئة من رؤساء القبائل. اما السبب في تفرق البدو فهو انهم كانوا قد ملوا الحالة لما اسلفنا القول، وكان فوق ذلك وقت الربيع فذهبوا يرعون مواشيهم، ولم يكن لابن سعود ان يكرههم على البقاء لانهم لم يكونوا من الجنديين ما اولئك الذين يجيئون ~~[illegible]~~ الوحيد متطوعين متلبسين.

على ان هذه الحال لم تنحصر في بادية ابن سعود فقط بل كانت قد ظهرت كذلك في معسكر ابن الرشيد، فقالت البادية تخاطبه: هلكت مواشينا وهلكت اولادنا جوعاً، فاما ان نرحل جميعاً فنمشي وراءك، واما ان نرحل نحن وتتركك درأونا. فأجابهم ابن الرشيد: وكيف نرحل ولا ركائب لدينا لعساكر الدولة؟(1) فقال رجال شمر: كل قبيلة منا تقدم الركائب لقسم من العسكر. فقبل ابن الرشيد وامر توزيع امتعة العسكر احمالاً على شمر. ولكن عندما اعتزموا الرحيل هجم عليهم ابن سعود بخيله ليحول دون ذلك، فتصادموا وتقارعوا من صلاة الفجر حتى غروب الشمس. ~~[illegible]~~ ولكنه خرج من المعركة كاسباً، وكانت البادية ~~قد~~ التي ارتحلت قبله قد تركته

---

(1) قيل ان ابن الرشيد حشد في وقعة البكيرية والشنانة – التي تبعتها – نحو عشرة آلاف من الجمال (وراءها)

ورائها، فراح ابن سعود لطارده الى ان آذنت الشمس بالمغيب فنصب ابن

الرشيد خيامه خدعة للمبيت. فرجع ابن سعود بخيله بعد ان أقام هنالك

الحرس المستكشفين فخدعها ابن الرشيد لجعا يتأهب للرحيل.

وعندما رآه ابن الرشيد بعض الحرس والكشافة

اما ابن سعود فما كاد يصل الى الرس ويجلس الى العشاء حتى جاءه احد

الكشافة يقول: رحل ابن الرشيد.

وقد كانت خطته الحربية ان ينهك خصمه بالمفاجئات والمناوشات

فيضربه بعد ذلك الضربة القاضية. فقام ورجاله عن العشاء وساروا

الى الحمل يتعقبون ابن الرشيد. حتى اذا قربوا منه سوادا ظنوه غنما فاغاروا

عليها، فاذا بها عسكر الترك! فنازلوهم ساعة، وكان قد جن الليل، دون نتيجة

تذكر، ثم عادوا الى الرس.

اما ابن الرشيد فكان قد نزل الجوعي بالقرب من قصر هناك يعرف بقصر ابن

عقيل فيه سرية لابن سعود فهم في صباح اليوم الثاني بالهجوم عليه.

ولكن ابن سعود قبل رجوعه الى الرس الليلة السابقة ترك حراسه

وكشافته حسب العادة في مكان معلوم ومعهم رجال من اسرته زودهم بهذه

التعليمات: اذا رحل ابن الرشيد وقرب الخنق (درب بين جبلي أبان)

فارسلوا اخبروني وانتم تعقبوه لتطلعوا على سيره. اما اذا مشى الى

قصر ابن عقيل فعليكم انتم يا اهل سعود ان تسبقوه الى القصر لتشجعوا

اهله وتقولوا لهم اننا سائرون الى انجادهم

الذي لم يكن يخشى عليه الا من المدافع لانه حصن منيع

زحف ابن الرشيد الى القصر فسبقه بنو سعود اليه وكانوا قد ارسلوا يخبرون

عبد العزيز.

وصل ابن الرشيد فنصب في الحال مدافعه كلها وشرع يضرب القصر

وعندما علم ابن سعود بالحصار، بعد ظهر ذلك النهار، صاح برجاله قائلاً:

انهزم ابن الرشيد وهو يريد ان نعمل مناورة خارج البلد. فاستبشروا وخرجوا

للمناورة، فكشف القناع اذ ذاك عن قصده الحقيقي — امرهم بالزحف الى قصر ابن

عقيل! فترددوا لانهم لم يكونوا متأهبين للرحيل. ولم يكن لديهم شيء من الماء والزاد.

وقد كانت ~~وزد على ذلك انهم كانوا في~~ الساعة الاخيرة من النهار، والمسافة امامهم لا تقل

عن العشرين ميلاً.

خطب ابن سعود فيهم محرضاً مستنهضاً ثم قال: انا واحد منكم ومثلكم -

انتم ماشون، وانا ماشي. انتم حفاة وانا والله لا انتعل. وهذا نعلي

وهذا ذلولي.

قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي بحبل الذلول على غاربه. ثم

مشى امامهم حافياً، فمشوا وراءه متحمسين. وعندما وصلوا الى القصر قبل نصف

الليل بساعة ارادوا ان يهجموا على ابن الرشيد في ذلك الحين، فمنعهم عبد العزيز لانه كان

عالماً بما حل بهم من التعب والجوع، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة.

اما ابن الرشيد فبعد ان شغّل مدافعه بضع ساعات دون طائل شدّ في

صباح اليوم التالي للرحيل، فتركه ابن سعود يرحّل إبله ويحمّل الطوابه. وعندما

مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل للمفاجأة، ثم مشى الجيش السعودي من القصر وراءها،

فادركوا العدو في وادي الرمة.

~~وقف~~ ابن الرشيد ~~...~~ اناخ هناك وجمع جيوشه. ثم نصب المدافع وبنى بيوت

الحرب

الحرب (١) فتهاجم الفريقان وتقارعا من منتصف النهار، وكانت الغلبة اذ ذاك لابن الرشيد، ولكن ابن سعود عندما رأى جانحه الايمن متقهقراً هجم بقومه هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب، فاشتد الضرب والطعان، فولّت عساكر الترك الادبار. ثم انهزم ابن الرشيد وفر ورجاله هاربين.

اراد ابن سعود ان يتعقبهم ولكن الحملات واموال (٢) البادية حالت دون ذلك فشغلوا عنهم بها. شرعوا ينهبون وظلوا كذلك حتى جن الليل. ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع، بل استمروا عشرة ايام يجمعون مما تركه ابن الرشيد وعسكر الدولة في ساحة القتال من الامتعة والذخائر والاسلحة والمؤن والفرش والثياب، ناهيك بالابل والغنم. وقد وجدوا بين تلك الاحمال صناديق من الذهب حملوها الى خيمة ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على رجاله ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه. وانها لغنيمة عظيمة. فقد كانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط تراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية وبين العشرة والعشرين بعيراً.

هذه هي وقعة الشنانة (١٨ رجب ١٣٢٢ هـ ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤ م) وهي القسم الثاني من ذبحة البكيرية التي قضت على عساكر الدولة واغنت اهل نجد. والاحرى ان يدعى القسم الثاني بوقعة وادي الرمّة.

---

(١) بيوت الحرب هي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لتحرزعن ذمارها والذود عنه

(٢) المال عند اهل البادية هو النعم والجمال. ويطلق ايضاً على المواشي كلها

الفصل السادس

الاتراك يغاضبون ويتفرجون

قد نكبت الدولة نكبتين في البلاد العربية في هذه السنة (١٣٢٢ه ١٩٠٤م)
الاولى في نجد، والثانية في اليمن. ومن غريب المقادير ان الامام يحيى الشاب
في صنعاء وابن سعود الشاب في القصيم كسرا الجيوش "المنصورة" كسرات
شنيعة، ورفعا للسيادة العربية اعلاما لا تزال تخفق في سماء الاستقلال.
اما نكبة الدولة في صنعاء فتختلف شكلا عن نكبتها في القصيم. هناك كانت
جيوشها محصورة، وهنا تشتت ما تبقى من الجنود بعد الوقعة الاخيرة
فكانت حالتهم محزنة. فقد فر بعضهم مع ابن الرشيد، وهام الآخرون
في الفيافي هائمة، ومنهم من لجأوا الى ابن سعود فآواهم وكساهم واعطاهم
الامان.

اما ابن الرشيد الذي فر هاربا الى الكهفة — قرية من قرى حائل — فقد
ارسل يستنجد الدولة مرة اخرى، وكانت الدولة كمن خسر في المقامرة فعاد
لقسم آخر من ماله املا باسترجاع الخسارة. وقد عاودت لقسم كبير لهذه المرة فارسلت
احد جبابرة الكبار المشير احمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وحسن سياسته،
وشفعته برجل آخر الفريق صدقي باشا المتصف ببعد النظر وطول الاناة.
جاء الاول بثلاث طوابير وخمسة اطواب من ~~البصرة~~ بغداد، وجاء الثاني من المدينة
بطابورين، فالتقيا وعسكروا قرب القصيم.

لم تكن الدولة تقصد الحرب، ولذلك وقد رغبت في المفاوضة من اجل السلم
ارسلت هذه القوة من جندها لتعزز جانبها. وكانت قد بعثت الى
ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك تقول انها تريد ان تفاوض اباه
الامام عبد الرحمن، وطلبت ان يوافي والي البصرة الى الزبير.

اجاب

اجاب الامام طلب الدولة، فسافر الى الكويت، وخرج والشيخ مبارك الى الزبير، فاجتمعا هناك بالوالي، وبعد المفاوضات في امور نجد والقصيم قرروا ان يكون القصيم على الحياد، اي ان يكون منه مقاطعة مستقلة تقوم حاجزاً بين ابن الرشيد وبين ابن سعود، وان يكون للدولة فيه مستشارون ومركز عسكري.

لم يوافق الامام عبدالرحمن على هذا القرار، الا انه قبل، اكراماً للشيخ مبارك الذي الح بقبوله، ان يعرضه على اهل نجد. ولكن اهل نجد لم يقبلوا البتة ان يكون القصيم على الحياد، ولا ان يكون فيه حامية للدولة.

عندما علم ابن سعود بعودة ابيه خرج يلاقيه الى الحسي، فاجتمع به هناك وسارا وإياه الى شقرا، فاقام الامام فيها واستمر عبدالعزيز سائراً برجاله الى القصيم، فنزل العمار التي تبعد نحو خمسة وعشرين ميلاً عن بريده الى الجنوب. وكان فيضي باشا وصدقي باشا قد [redacted] اجتمعا بابن الرشيد فتفاوضوا واختلفوا. اراد ابن الرشيد ان يضغط على اهل نجد، وان يأخذ اهل القصيم بالسيف، فخالفه المشير ولسان حاله يقول: الرأي قبل شجاعة الشجعان. ولا يغفل [illegible] ان الدولة أم رؤوم تحرص على حياة ابنائها فتؤثر على الحرب حقن الدماء.

عاد ابن الرشيد بعسكره الى الكهفة خائفاً، وركب المشير على رأس جنوده قاصداً القصيم، فلما وصل الى بريده ابى اهلها ان يدخل المدينة. ولكن واحداً منهم اسمه صالح الحسن من آل مهنا ارسل اليه رسولين هما ابن عمر ومحمد آل علي ابو الخيل يقول انه واتباعه يطلبون حماية الدولة والاستقلال.

ولكن

ولكن اهل بريده وعنيزه وتوابعهما من القرى لم يقبلوا بالسيّادة
او بشبه السيادة التركيه، فارسلوا الى ابن سعود يستشيرونه
في المقاومة. وكان فيضي باشا قد ارسل رسولاً الى الرياض ليقول ان
الدولة لا تبغي محاربة اهل نجد وانه جاء مسالماً. ثم ارسل
الى ابن سعود في العمارية قائلاً: اني لا اريد الا السلم
ولست محققاً مقاصد ابن الرشيد. وقد سأله ان يلزم مكانه
فقبل
ويرسل اباه عبد الرحمن ليوافيه الى عنيزه للمفاوضة.
قبل ابن سعود بذلك، واوصى الناس بان يخلدوا الى السكينة حتى
الاب الامام عبد الرحمن
يأتون عملاً عدائياً اثناء المفاوضات.
من شقرا الى عنيزه وفيضي باشا جنوبا فنزل على مقربة منها
وقد تواجه الاثنان في المدينة، فطلب المشير ان يكون للدولة
مركز ان عسكريان الواحد في بريده والثاني في عنيزه، وذلك
مؤقتاً الى ان يتم الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد. ولكن
رفض اهل المدينتين هذا الطلب الاصالح الحسن واتباعه فرأى رفضوا
هذا الطلب، فرأى الامام ان يقبلوه مؤقتاً واقنعهم بذلك
وكادت تتم المفاوضات على هذه الصورة لو لم تحل دونها
ولكن صنعاء اليمن حالت دون اتمام المفاوضات فقد كان الامام يحيى
حوادث هائلة
الثائر وعربانه قد شددوا انطاق الحصار على المدينة وفيها مستعون
الف من الترك العسكريين والمدنيين، وليس عند الدولة
قريباً من فكان النكبة اقدر واشجع من فيضي باشا توكل
لذلك صدر
اليه انجاد ابنائها المشرفين على الموت.
الامر الى قائد القصيم
احمد فيضي بالاسراع الى اليمن، فانتقل الاوقعد ... اليمن
وترك كله لصدقي باشا يحلها بالتي هي احسن.
تولّى

تولى صدقي قيادة الجيش ولحق الى الشيحية فعسكر فيها. ولكنه لم ير "التي هي احسن" في بيت المتنبي او في عكسه. فلا "الرأي قبل شجاعة الشجعان" ولا الشجاعة قبل الرأي استفزته او هزت منه جارحة للعمل.

اقام صدقي وجنده في الشيحية لا محاربين ولا مفاوضين، بل اقاموا هناك متفرجين، وقد استأنف ابن سعود وابن الرشيد القتال.

الفصل السابع

كبوات الشيخ مبارك

لبث المفاوضات في السلم واثناءها سرت الى اهل القصيم روح الشقاق والفوضى، فكان فريق منهم مع الدولة، وفريق مع ابن سعود، واخرج ابن الرشيد، فعاد ابن سعود الى الرياض وظاهره انه نفض يده من اهل القصيم المتذبذبين، وقد تركهم بين عدوين يجالدانهم وليذان النير على رقابهم. ولكن السعوديين هناك ارسلوا الى ابن سعود ان ابتعد لا ... الشيخ مبارك الصباح ... وكان ابن سعود ولقد ادرك انهم لا يعرفون سياسة غير سياسته. وكان الشيخ مبارك احس بانقلاب في سياسة الشيخ مبارك، فاغتنم الشيخ هذه الفرصة ليظهر انه الصديق الذي يرعى العهود، فكتب الى "ولدي عبد العزيز" يشير عليه ان يعود الى القصيم، ويعفو عن اهله لانهم مخلصون له، ولا يعرفون في البلاد غير السيادة السعودية."

ولكن الشيخ مبارك لوقتئذ كانت "تدهم" الى عبد العزيز الاخر حالة" تحكي كتب التودد والولاء التي اسفرت عن صلح بين الاميرين الصباحي والرشيدي.

ولكن الرئيس الأول ارسل الى الشيخ مبارك الصباح بانه لا يتوسط بين ابن سعود و اهل القصيم الخ.

ولهذا الصلح

والشيري عُقد في آخر سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٥م)

سببان: الاول هو

والسبب في هذا الصلح ان يوسف آل ابراهيم كان لايزال قائماً

على الشيخ مبارك، والدولة كانت لاتزال ناقمة عليه، فسعى في

استرضائها ليدحر عدوه الالد فصالح حليفها ابن الرشيد.

وهناك سبب آخر هو " ولده " عبد العزيز وكان قد بدأ

يخشى امتداد سيادته في نجد ويخشى فوق ذلك نتائج

في الكويت. فان سيد نجد قلما يقف عند حد دون الخليج

اذا استولى على القصيم واجتاز الحفر. ان عمل الشيخ مبارك

اذن هو من باب الدفاع عن النفس.

ولكنه وهو الداهية و " الحوالة " وصاحب السيف ذي الحدين

ضرب ضربات عدة حبارة، بل كبا كبوات فاضحة (فقد كتب

مرة الى عبد العزيز بن الرشيد يقول ما معناه:

سلطانة

اني قلق جداً من اعمال ابن سعود وقد جرت الامور

في نجد على غير ما اشتهي. اما الان فانا واياكم

~~انت~~ ~~عليه~~ وانا في طرده والكويت وحائل

~~تساعدوا~~ فهيا تساعدوا

شقيقتان. ومصلحة البلدين واحدة

تساعدوني في المساعدة الخ.

ولكم مني ما

وكتب الى ابن سعود يقول:

اولدي يا ولدي. انا معك في كل حال وحين. تداركك

الله وتولاك، لا تترك هذا الكلب، فحل الشدة،

ولا تدعه يستريح، ولا تصالحه. وانا ابوك مستعد

لمساعدتك في كل ما تريد.

كذلك كان يحاول ان يضعف الاثنين في اغراء الواحد بالآخر وتحريضه

ع خصم

فارس الفوريس

والرشيدي، عُقد في آخر سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٥م)؛ وهذا
الصلح سببان: الاول هوان الدولة العلية كانت ناقمة على
الشيخ مبارك، ويوسف آل ابراهيم، عدوه الألد، كان مستمرًا في
عدائه. فسعى الشيخ في استرضاء الدولة لتنصره على يوسف،
وكان من مساعيه هذه انه صالح حليفها ابن الرشيد. اما
~~[illegible]~~ السبب الثاني لهذا الصلح فهو ذلك الشاب الظافر،
"ولده" عبد العزيز، وكان قد بدأ يخشى امتداد سيادته
في نجد وخشي كذلك نتائجها في الكويت. فان سيد نجد
اذا ما استولى على القصيم واجتاز الحفر، لا يقف عند حد
دون الخليج. ان عمل الشيخ مبارك اذن هو من باب
الدفاع عن النفس.
ولكنه، وهو الداهية، و"الحواقة" وصاحب السيف
ذي الحدين، ضرب ضربات عدة صاردة، بل ربما كبوات
مضحكة. فقد كتب مرة الى سلطان الرشيد
يقول ما معناه:

على فصحه. ولكن كاتب الديوان المباركي لم يكن موفقاً في تلك الساعة،

ساعة كتب الى المتحاربين. اذ ان التشبه بالاسم

خدع عنه التقط والاشتباه، فقد ارسل كتاب عبد العزيز

ابن سعود الى عبد العزيز ابن الرشيد، وكتاب عبد العزيز

ابن الرشيد الى عبد العزيز ابن سعود ! (١)

وعندما استأنف الاثنان القتال جاء نجاب من الشيخ

مبارك يحمل الى ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت

على قصاصة من الورق، وفيها انه سيعلن الحرب عليه اذا

كان لا يعيد "منهوبات" ابن الرشيد العراق

والمنهوبات هذه غنمها من بعض قبائل ابن الرشيد رجل من

الضفير اسمه علي الضويحي، وقد كان من انصار ابن

سعود. فليس للشيخ مبارك حجة في تدخله باوه.

ولكنه بعد الغرة التي كان الكاتب سببها حاول على ما

يظهر ان يصلح الامر مع امير حائل فلم يسعفه القدر

لان الامير ذا السفاه كان قد قتل في المعركة كما سيجيء

في الفصل التالي.

لله انت ايتها الاقدار ! فهل تحاولين ان تغلبي الشيخ

المبارك ؟ انه لا يغلب. فقد تجاهل قتل ابن الرشيد

وكان قد بلغه الخبر بعد كتابة ما تقدم فارسل نجاباً آخر الى

"ولدي عبد العزيز" يحمل كتاباً طويلاً عاطفياً جاء فيه:

"ولدي عبد العزيز، انا ابوك

اني لك داعياً يا ولدي يا عبد العزيز... ولم اصالح ابن الرشيد الا

دعمك وعضدك.

لأجل

(١) "وقد كان مبارك لدهائه يحسب لكل حال حسابه. على انه [illegible] عرض اصطلاحه في عين الوقت على ابن سعود [illegible] ابن سعود ايضاً، على ابن الرشيد" تاريخ الكويت: الجزء الثاني — صفحة ١٢٦

٥

التراك . ولكنني مستعد ان امدك بما تحتاجه من المال والرجال - المال مالك ، يا ولدي يا عبدالعزيز ، والحلال حلالك .

ولكن ابن سعود في حديثه مع النجاب زيد المعرّب ورّه الذي كان من رجاجيل الشيخ مبارك اطلع على الحقيقة التي لا ريب فيها .

قال عبدالعزيز يخاطب النجاب : والدي الشيخ مبارك اخبرني انه ادرك بان تكتم خبر قتل ابن الرشيد

فاجاب النجاب : ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عندما وصله الخبر .

~~والسرور~~

وكانت شاعة في فكر ابن سعود مضحكة ، فكتب الى " والده " يعلمه بوصول الكتاب الاول وفيه التهديد بالحرب ، والكتاب الثاني وفيه التعطفات الطيبة ، ثم اخيه بذبحه ابن الرشيد ، وختمه لقول الشاعر

اذا كنت في كل الامور معاتبا ~~صديقك~~ ~~لم تلق الذي لا تعاتبه~~ الذي لا تعاتبه

صديقك لم تلق الذي ~~لا~~ الذي لا تعاتبه

الفصل الثامن

الفصل الثامن

ذبحة ابن الرشيد

قد لمعت في ما تقدم الى الخلاف الذي كان متأصلا في بريده
بين آل مهنّا وآل عليان الاسرتين اللتين تنازعتا السيادة
هناك . وقد ظل هذا الخلاف في اشده يوم قُتل مهنّا ابو الخيل
في اول عهد الامام عبد الله بن فيصل فشكى اولاد مهنّا الامر الى
الامام فلم ينصرهم على اعدائهم آل عليان . وظل الغل كامنا على
ما يظهر في آل مهنّا الى الوقت الذي نحن فيه من هذا التاريخ فتجسم
في صالح الحسن المهنا على عبد العزيز ابن سعود.
وشرع صالح يتزلف الى الترك لتحقيق مآربه. بل اتخذ تلك الخطة
السياسية التي تتلون بالوان الحوادث والاحوال، فاغضب ابن سعود
وابن الرشيد معا. وعندما ارتحل ابن سعود من القصيم وظاهر
امره التخلي عنه اهله كان قصده الحقيقي ان يدع صالحا وشأنه
فيكون له من خطأه وتجبره التأديب الاكبر، فيتأكد هو واتباعه
انهم لا يستطيعون الدفاع عن القصيم اذا ~~[illegible]~~ شهر ابن الرشيد الحرب عليهم.
ومن حسن الاتفاق انه كان وقد [illegible] في قطر ثورة اهلية او بالحري
فتنة اثارها على الشيخ قاسم بن ثاني اخوه احمد وهو يبغي
انتزاع الملك من يده. وكانت الحرب قائمة كذلك بين العجمان
وآل مرة، فنصر الشيخ قاسم العجمان، وكان اخوه احمد مع اعدائهم
واشتدت الحرب بين الاخوين والقبيلتين، فارسل الشيخ قاسم يستنجد
ابن سعود، فذهب عبد العزيز لنجدته تبعده برهة عن نجد
الى لابن الرشيد لينتقم من اهل القصيم
وقد صح

القتال محتدما
اعدائهم
هي الفرصة التي
فانجده حبا وكرامة
فخلو الجو
عنه نجد
اغتنمها عبد العزيز ليسعد برهه
لابن الرشيد لينتقم منه اهل القصيم

وقد صح حدسه ، فعندما سار الى نجده ابن ثاني ارسل ابن
الرشيد سرية يقودها صالح العذل ومعه حسين العساف
الى الرس ، فاستولت عليه ، فاجتمع بعض اهل القصيم في
الشقة للدفاع ، وقد انضم اليهم عدد من العربان ، فهجم ابن الرشيد فلكن فادي
عليهم فذبح اكثرهم وحاصر البقية في ~~الشقة~~ تلك القرية . هجومه
اضيع القصيم لنذا ادرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في النكبة
امكانهم الدفاع عن انفسهم ، وان لا خلاص لهم الا بعون الله بل ادركوا
ثم بابن سعود ، فارسلوا الطيبون من الشيخ مبارك التوسط
بينهم وبينه كما جاء في الفصل السابق .
اما الحرب في الحسا وقطر فقد كانت الغلبة فيها اول الامر لآل مرة
داحمد بن ثاني . فلما وصل ابن سعود الى العجمان حملة جمل على القبلتين معا فتنفس
الشيخ قاسم الصعداء ، وذراخذه احمد الى البحرين . فتنفس
ثم بلغت ابن سعود اخبار القصيم فعاد مسرعاً الى نجد ، وارسل اخاه
محمدا على رأس السرية لغزو قبائل ابن الرشيد ، فلحقت السرية
على حرب وعادت فنزلت وادي السر .
اما صالح الحسن فارسل اخاه مهنا الى اهل عنيزه يرجوهم ان يرسلوا
معه احد ودعا ثم ليعاونه في استرضاء ابن سعود ، وقد
كان هذا الوفد في الرياض يوم وصل اليها عبد العزيز عائدا
من الحسا ، فاستقبله مرحبا به ، وعفا عنه وعن اصحابه .
ثم توجه الى القصيم ، ولكنه لم يكن في ذلك الحين قادرا على
محاربة ابن الرشيد لسببين ، اولهما المحل في تلك السنة وثانيهما
تفرق البادية ليهتموا بمواشيهم .

غنم علم

عندما علم ابن الرشيد بقدوم ابن سعود خرج من منزله في البُقيعة فاغار على الحميدان من عرب مطير واخذهم ثم عاد فنزل القُصيبة (١) وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وهو ينتقل من القُصيبة الى الاجفر (٢) ومن الاجفر الى الشوكي (٣).

اما ابن سعود فعاد الى نجد ليستنفر العربان في عتيبة ومطير الاعلين فجمع جيشاً منهم وعاد به الى القصيم فاحس بجنوده ان صالح ابن الحسن ليس سراً في مصالحة ابن الرشيد. وقد جاء مع ذلك، ومعه قوم من اهل بريده، ينضم الى ابن سعود فقبل ابن سعود صالحاً على علاته وهو عالم بما خفي من اوه نزل الاسياح بجيشه الذي اصبح مؤلفاً من البادية والحضر، فاقام هناك عشرة ايام، وقد ثبت صالح طيلة تلك المدة ... ولكن ذلك الذي يوسوس في صدور الناس، فتم وسوس في صدره ... ان يسبق ابن سعود حربانه بان ينكب، وقومه من الاسياح، فيسبق ابن سعود ... وحدهم فلا يقدرون على ابن الرشيد اذا اغار عليهم. فنقل من الاسياح الى مكان اسمه البُنَيّه ... ابن سعود بما كان يجول في صدر صالح، فلما وصل الى مكان اسمه الزلفي (٤) ليبعده عن القصيم. فاستأذن صالح بالرجوع الى بريده، فاذن له بالرغم من خيانته كي لا يقال انه غدر به عما بدا من خيانته.

عاد صالح الى بريده وسار ابن سعود الى الزلفي يجمع الرجال والجيش، فانضمت اليه قبائل مطير التي يرأسها فيصل الدويش. وقد بلغه وهو هناك خبر الصلح الذي تم بين الشيخ مبارك الصباح وابن الرشيد، ولم يكتف الشيخ مبارك بذلك

(١) القُصَيبه هي على مسير ... من بريده الى الشمال ...
(٢) الاجفر هو ...
(٣) الشوكي هو ... شرق ... على مسير ... ايام ...

(٤) الاسياح عيون عند العروض على مسافة اربعين ميلاً من بريده شرقاً بشمال والزلفي تبعد خمسين ميلاً عن الاسياح الى الجنوب

يستحثه على مثل عمله ،

بذلك بل كتب الى صالح الحسن يشير عليه بمثل عمله .

١٢٢٤ هـ
١٩٠٦ م

سار ابن سعود عائداً الى القصيم في شهر محرم من
هذا العام ومعه جيش لا يتجاوز الالف وستمئة
مقاتل منهم الف وستين من الحضر والبقية خيال من البادية .
وكان ابن الرشيد نازلاً الشقير
فنزلوا في مكان يعرف بجراب فتحرك ابن سعود اليه
في عقلة الزلفي وهو مكان كثير الرمال .
فلم يدركه ، واصبح الصباح وهو لا يزال
سار ابن سعود يطلب خصمه
العاصفة الماطرة قرب
من ايام الربيع
مطارداً ، وكان ذلك اليوم
ان يشعرا بذلك .
الخصمان بعضهم من بعض واستعدا دون
فيجتمع هناك بصالح
وكان ابن الرشيد يتراجع ليصل الى الشقة
مناخاً
الحسن الذي جاءه فصالحاً
الامطار حتى الاصيل فترجلوا اذ ذاك
مش ابن سعود ورجاله ذلك
السير ولكنه
لانهم لم يستطيعوا من شدة الامطار والرياح ان يواصلوا
اخبار العدو فعادوا لقد قليل يقولون انه على مسير
ارسل كشافة يستكشفون
ساعتين فقط وقد نزل روضة ومنا .
لقدوم العدو
على الاقدام كي لا يشعر
مش ابن سعود ورجاله
فاستيقظ وشرع بجمع
العبيد
فبادروا بالخبر
ابن الرشيد
فرأتهم كشافة
الحضر والف ومئتين من
من ستمئة من
جيشه الذي كان مؤلفاً
هجمت رجال ابن سعود على من تخلف من رجال ابن
خيالة البدو .
في ١٨ صفر
وتلاقيا تحت جناح الليل
الرشيد فتصادم الجيشان
فاختل السعوديون
ابن الرشيد يرى
فتقهقر
(١٤ نيسان) من هذه السنة ،
مستنهضاً همم جنوده
مراكزهم . وكان ابن الرشيد راكباً حصانه يدور في معسكره
ظن انهم لا يزالون
فلما وصل الى المكان الذي كان فيه قسم من جيشه
فيه

فيه ، فخاطب ~~[illegible]~~ حامل البيرق يحرضه على الهجوم* فصاحوا : ابن الرشيد !

ابن الرشيد ! وصوبوا البنادق عليه فخر صريعاً وفيه بضعة وعشرون

رصاصة ثم اخذوا سيفه وخاتمه الى ابن سعود :

كان عبد العزيز بن متعب بن الرشيد في الحملة من سنة يوم

ذبح هذه الذبحة في روضة مهنا بالقرب من بريده ، وتدعى الوقعة

بذبحة ابن الرشيد :

قلت في الكلمة التمهيدية لهذا التاريخ انه كان جباراً عتياً ، لا خوف

في قلبه ، ولا رحمة ولا احسان . وكان فوق ذلك قطوباً عبوساً أبشع [illegible] فوق

عينيه ، وكوفيته على فمه ، فهو العبوس الملثم . وقلما كان يبتسم بل قلما كان

يكشف كل وجهه للناس . ولم يكن على شيء من السجايا التي تحبب القائد الى

رجاله والامير الى رعيته .

ذكرت حادثة تدل على ما كان فيه من التجلد والتمرد ، وهي ذي حادثة

من حوادث تدل على ظلم وقساوته

يوم كان يحارب اهل القصيم مرفي طريقه برعاة من تلك الناحية

وهم اربعون يحتشون ، فامر بالقبض عليهم ، ثم بايقافهم صفاً الواحد جنب

الآخر ، ثم بقطع رؤوسهم اجمعين ، فكان كذلك . وهذه المذبحة تدعى

بحادثة الحواشيش .

[illegible] اذا كان قد فرح حتى اهل شمر بمقتل الشيخ جبار الا عندما

بلغهم خبر قتله .

[illegible] ظنوا [illegible] ان الصوت صوت ابن الرشيد .

× وكان [illegible] ~~[illegible]~~ بيرقه ابن سعود ، يا حسنه ابن بيرقه خاصه

ينادي بأعلى صوته " من هاله يا الفريخ من هاله يا الفريخ " احا البيرق [illegible]

فحسبه رجال ابن سعود وعرفوا صوته

" اخذت هذه المعلومات من مصدر ثقة "